فَضَائِلُ الصِّيَامِ

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضائل الصيام

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضائل الصيام:

الفضيلة الأولى: الصوم من أفضل الأعمال التي يُتَقَرَّبُ به إلى الله ﷻ.

الفضيلة الثانية: الصوم لا مِثْلَ له.

الفضيلة الثالثة: الصوم من أشرف العبادات.

الفضيلة الرابعة: الصيام رفعة في الدرجات، والله- تعالى- يعطي على الصيام ما لا يعطي على غيره.

الفضيلة الخامسة: الصيام سبيل تحصيل التقوى.

الفضيلة السادسة: الصوم في الصيف جزاؤه الري والسقيا يوم العطش.

الفضيلة السابعة: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة.

الفضيلة الثامنة: دعوة الصائم لا ترد.

الفضيلة التاسعة: للصائم فرحتان.

الفضيلة العاشرة: رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

الفضيلة الحادية عشر: الصيام فدية لبعض الأعمال، أو بدل منها، أو كفارة لها.

الفضيلة الثانية عشر: الصوم يزيل الغش والحقد والغل والوسوسة من الصدر.

الفضيلة الثالثة عشر: الصوم سياحة هذه الأمة.

الفضيلة الرابعة عشر: الصوم جنة عن الشهوات.

الفضيلة الخامسة عشر: الصوم باب من أبواب الخير.

الفضيلة السادسة عشر: الصوم كفارة للخطيئات.

الفضيلة السابعة عشر: الصيام جنة من النار.

الفضيلة الثامنة عشر: جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام.

الفضيلة التاسعة عشر: الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة.

الفضيلة العشرون: نداء الريان لمعاشر الصُّوَّام.

الفضيلة الحادية والعشرون: الصوم سبيل إلى الجنة.

الفضيلة الثانية والعشرون: مَن صام وقام رمضان فهو مع الصِّدِّقين والشهداء.

تتمة للموضوع: هناك بعض الفضائل المتعلقة بالصيام ومنها:

أولا: فضل وثواب تعجيل الفطر:

١- الأمة المحمدية على خير طالما يعجلون الفطر.

٢- الأمة المحمدية على السنة طالما أنهم يعجلون الفطر.

٣- تعجيل الفطر لمخالفة أهل الكتاب.

٤- تعجيل الفطر وتأخير السحور من أخلاق النبوة.

٥- تعجيل الفطر حث عليه النبي أمته ﷺ.

٦- وتعجيل الإفطار كان من هدى النبي ﷺ.

ثانياً: فضل وفوائد السحور:

١-السحور بركة.

٢- السحور فيه مخالفة أهل الكتاب.

٣- الله وملائكته يصلون على المتسحرين.

٤- السحور دليل على خيرية الأمة:

٥- السحور يجعل الإنسان يتعرض للوقت المبارك.

٦- السحور يجعل الإنسان يدرك صلاة الفجر في وقتها.

ثالثاً: فضل وثواب من فطر صائما:

رابعاً: فضل وثواب صدقة الفطر:

تتمة لفضائل وفوائد وحِكم الصيام:

حِكَم الصيام وفوائده الصحية:

١- كسر النفس.

٢- ومنها تخلِّي القلب للفكر والذكر.

٣- ومنها أن الصيام يضيق مجاري الدم.

٤- وللصوم كذلك فوائد وثمار أخلاقية.

٥- والصيام سبيل للتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

٦- الصيام يحض على الشفقة والرأفة والرحمة بأصحاب البطون الخاوية ومد يد العون إليهم.

٧- الصوم يحملنا على شكر المنعم سبحانه وتعالى.

٨- قطع أسباب التعبد لغير الله ﷻ.

٩- ومن فضائل الصوم كذلك: أن الصوم يعلم المسلم المراقبة الدائمة لله ﷻ.

١٠- ومن فضائل وفوائد الصيام: أنه علاج لكثير من الأمراض.

فـوائـد الـصيـام الـصـحـيـة:

وهي كثيرة ذكرت في ثنايا الرسالة.

مقدمة

إنَّ من أَجَلِّ الفرائض وأسماها فريضة الصيام، والصوم أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهو من أَجَلِّ دعائم الإيمان، وهو من القُرَب الرفيعة التي تُقرِّب العبد من ربه.

وهو من الآداب الإسلامية الخالية من الرياء، البريئة من الزهو والخيلاء، حيث لا يعلم به إلا علاَّم الغيوب.

فأَنْعِم بالصوم من عبادة شرعها الله وجعلها تكفيرًا للخطيئات، وزيادة الحسنات، ورفعًا للدرجات، وقمعًا للشهوات، وتكثيرًا للصدقات، والبعد عن اللفحات، والفوز بالجنات، ورضا رب الأرض والسماوات.

أضف إلى هذا أن الصيام مدرسة خُلُقِية، يتدرب فيها المؤمن على خصال كثيرة، فهو جهاد للنفس ومقاومة للأهواء ونزعات الشيطان التي قد تلوح له، ويتعوَّد به الإنسان على خلق الصبر على ما قد يُحْرَم منه، وعلى الشدائد التي قد يتعرض لها، ويُعلِّم النظام والانضباط، وينمي في الإنسان عاطفة الرحمة والأخوة، والشعور بالتضامن والتعاون التي تربط المسلمين. (انظر الفقه الإسلامي وأدلته: ٥٦٦/٢١)

وكم للصوم من فضائل وفوائد يجهلها البعض، لذا تجدهم لا يحسنون استقبال رمضان، ولا يشحذون الهمم، ولا يشمرون عن ساعد الجد؛ وذلك لأنهم يجهلون هذه الفضائل.

وصدق القائل حيث قال: " **مَن لم يعرف ثواب الأعمال؛ ثقلت عليه في جميع الأحوال** ".

فهيا نتعرف على ثواب وفضل الصيام؛ حتى نقدم على هذه العبادة بهمة ونشاط، ونرجو موعود الله تعالى لمَن قام بحق هذه العبادة، وأسال الله تعالى أن يتقبل منَّا ومنكم صالح الأعمال.

قبل الحديث عن فضل الصيام الواجب لنا وقفة مع هذا الحديث الذي أخرجه ابن حبان والطبراني في "الأوسط" عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ- رَضِيَ الله عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِين** ". (السلسلة الصحيحة: ١٦٥٤) (صحيح الجامع: ١٨٤٤)

فإن كان الله ﷻ وملائكته يصلُّون على المتسحرين، والسحور عونًا على الصيام، فما ظنك بالصيام؟

فتعال أنا وأنت أخي الحبيب نتعرف على فضائل الصيام العظيمة، وفوائده العديدة

الفضيلة الأولى: الصوم من أفضل الأعمال التي يُتَقَرَّبُ به إلى الله - عز وجل -:

- فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أن الله تعالى قال: " وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ...". الحديث

يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري:١١/٣٥١":

" وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به؛ امتثال الأمر، واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل ". اهـ.

وقوله:" وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ " فهذا القرب وهذه المعية خاصة بأولياء الله الصالحين وعباده المقربين الذين يحافظون على ما أمرهم به حبيبهم، بل ويتقربون إليه بالنوافل، فالله يؤيدهم بالنصر والحفظ والكلأ والمحبة والتوفيق. فإذا أراد العبد أن يتقرب إلى الله ليحوز هذه المعية فعليه بالصيام وغيره من الواجبات.

الفضيلة الثانية: الصوم لا مِثْلَ له:

أخرج الإمام أحمد وابن حبان واللفظ له عن أبي أمامة ﷺ قال:" أنشأ رسول الله ﷺ جيشًا فأتيته فقلت: يا رسول الله. ادع الله لي بالشهادة، قال: اللهم سلِّمهم وغنِّمهم، فغزونا، فسلمنا وغنمنا، حتى ذكر ذلك ثلاث مرات، قال: ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله. إني أتيتك تترى ثلاث مرات أسألك أن تدعو لي بالشهادة، فقلت: اللهم سلِّمهم وغنِّمهم، فسلمنا وغنمنا يا رسول الله، فمرني بعمل أدخل به الجنة، فقال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له[1]، قال: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا، إلا إذا نزل بهم ضيف، فإذا رأوا الدخان نهارًا عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف ".

(صحيح الترغيب والترهيب:٩٨٦) (صحيح الجامع:٤٠٤٤)

- وفي رواية النسائي أن أبا أمامة ﷺ قال: يا رسول الله! مرني بعمل، قال:" عليك بالصوم، فإنه لا عِدْل له[2]".

- في رواية عند النسائي أيضا والحاكم أنه قال: أتيت إلى رسول الله ﷺ فقلت:" يا رسول الله! مرني بأمر ينفعني الله به، قال: عليك بالصيام فانه لا مثل له ".

---

١ - فإنه لا مثل له: قال السندي – رحمه الله -: أي في كسر الشهوة، ودفع النفس الامّارة والشيطان، أو لا مثل له في كثرة الثواب والأجر.
(شرح سنن النسائي :٤|١٦٥)

٢ - لاعِدْل له: والعدل بكسر فسكون: المثل والنظير، أي لا وزن لثوابه، والله يضاعف لمن يشاء.

الفضيلة الثالثة: الصوم من أشرف العبادات:

لأن إضافة الصيام لله ﷻ تشريفًا لقدره.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله ﷻ: **"كل عمل ابن آدم له[١] إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، ثم قال النبي ﷺ: والصيام جُنَّة[٢]،فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث[٣] ولا يصخب[٤]، فإن سابَّه أحد[٥] أو قاتله[٦]، فليقل: إنِّي صائم، إنِّي صائم[٧]. والذي نفس محمد بيده، لخُلُوف[٨] فم الصائم، أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه[٩]".**

قال ابن عبد البر –رحمه الله–: كفى بقوله: "الصوم لي" فضلًا للصيام على سائر العبادات. اهـ.

وفي لفظ للبخاري: **" الصيام جنة، فلا يرفث، ولا يجهل[١٠]، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم، إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه، وشرابه، وشهوته[١١] من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها....".**

وفي رواية لمسلم: **" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعفُ له، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: إلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فمِّ الصَّائِمِ أطيب عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ".**

وفي رواية الترمذي: **" إن ربكم يقول: كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والصوم لي وأنا أجزي به، والصوم جنة من النار، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وإن جهلَ على أحدكم جاهل وهو صائم، فليقل: إني صائم، إني صائم ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٩٦٨)

---

١ ـ كل عمل ابن آدم له: أي له أجر محدد إلا الصوم فأجره بدون حساب، ويشهد لهذا المعنى رواية مسلم "كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله تعالى:" إلا الصوم..".

٢ ـ جُنَّة: وهي بضم الجيم، وهي الستر والوقاية، ومنه المجن يقال للدّرع من الحديد يلبسه المقاتل، لأنه يستره من ضربات السيف، فالصوم هو: ما يجنُّ الإنسان أي يستره، والمعنى أن الصوم يستر صاحبه ويقيه من ارتكاب المعاصي، والوقوع في الشهوات الموجبة لدخول النار. قال النووي- رحمه الله -: جُنَّة أي ستر مانع من الرفث والآثام، ومانع أيضا من النار، ومنه "المجن" وهو الترس، ومنه سمي الجن لاستتارهم عن العيون.

٣ ـ الرفث: بفتح الراء والفاء، يطلق ويراد به الجماع، ويطلق ويراد به الفحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل والمرأة فيما يتعلق بالجماع. وقال كثير من العلماء: أن المراد به في هذا الحديث: الفحش، وردئ الكلام.

٤ ـلا يصخب: أي لا يصيح، وأصل الصخب: اللغط والخصام والصياح، والمراد بالنهي هنا تأكيده حالة الصوم، والا فغير الصائم منهي عن ذلك أيضا. (فتح الباري:١٠٥/٤)

٥ ـ سابه أحد: أي شاتمه

٦ ـ أو قاتله: أي تهيأ لمقاتلته، فانه إذا قال: " إني صائم" أمكن ان يكف عنه، فان أصر دفعه بالأخف فلأخف كألصائل (المصدر السابق)

٧ ـ فليقل إني صائم، إني صائم، ويستحب أن يجهر بها، وفي هذا فائدتان:
الأولي " علم الشاتم بأن المشتوم لم يترك مقابلته إلا لكونه صائما لا لعجزه"
والثانية " تذكر الشاتم بان الصائم لا يشاتم أحد، فيكون متضمنًا نهيه عن الشتم"

٨ ـ الخُلُوف: بضم الخاء المعجمة واللام وهو: هو تغير راحة الفم من الصوم لخلو المعدة من الطعام بسبب الصيام، أما الخَلوف بالفتح: فهو الذي يَعِد ويخلف (أفاده الخطابي – رحمه الله –) (أنظر فتح الباري: ١٠٥/٤).

٩ ـ وإذا لقي ربه فرح بصومه: أي بجزائه وثوابه – كما جاء في رواية للإمام أحمد "وإذا لقي الله فجزاه، فرح...".

١٠ ـ ولا يجهل: أي لا يفعل شيء من أفعال أهل الجهل: كالصياح والسفه ونحو ذلك، ولا يفهم من هذا ان غير يوم الصوم يباح فيه ما ذكر، وانما المراد ان المنع من ذلك يتأكد بالصوم (المصدر السابق: ١٠٤/٤).

١١ـ شهوته: أي شهوة الجماع، ويدل على هذا رواية ابن خزيمة "ويدع زوجته من أجلي"

وفي رواية ابن خزيمة: **" كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه "**. (صحيح الترغيب والترهيب:٩٦٨)

وقد ذكر العلماء أقوال في المراد بقوله تعالى:" الصيام لي وأنا أجزي به "- مع أن الأعمال كلها لله، وهو الذي يجزي بها: وهذه الأقوال ذكرها الإمام النووي -رحمه الله- في "شرح مسلم: ٢٩/٨"

أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به، فلم يعظم الكفار في عصر من العصور معبود لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة، والسجود، والصدقة، والذكر.. وغير ذلك.

- ***وقيل:*** لأن الصوم بعيد عن الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة، والحج، والغزو، والصدقة... وغيرها من العبادات الظاهرة.

فالصوم لا يظهر من ابن آدم في قول ولا عمل وإنما هو نية ينطوي عليها صاحبها ولا يعلمها إلا الله، وليست مما تظهر فتكتبها الحفظة كما تكتب الذكر والصلاة والصدقة والحج وسائر الأعمال.

- ***وقيل:*** لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ. (قاله الخطابي -رحمه الله-).

- ***وقيل:*** إن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الله تعالى، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق هذه الصفة، أضافه إليه، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء (أفاده الحافظ ابن حجر).

- ***وقيل:*** معناه أن المنفرد بعلم مقدار ثوابه، أو تضعيف حسناته وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها. اهـ.

- ***وقيل:*** أن الإضافة؛ إضافة تشريف وتعظيم، كما يقال: بيت الله، وإن كانت البيوت كلها لله.

وذكر الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "الفتح: ٤١٢/٨" هذه الأسباب وزاد وقال: إن معنى " **الصوم لي**"، أي: أنه أحب العبادات إليَّ والمقدم عندي.

- ***وقيل:*** إنه خالص لله، وليس للعبد فيه حظ من الثناء عليه لأجل العبادة.

- ***وقيل:*** لأن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام.

- ***وقيل:*** لأن الصوم لا يظهر، فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال.

ثم رجَّح الحافظ ابن حجر بعض الأجوبة على غيرها، فرجح القول: بأن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، والقول بانفراد الله بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وقد ذهب إلى ما رجحه ابن حجر صاحب "تحفة الأحوذي".

وقال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطَّلع عليه بمجرد فعله إلا الله، فأضافه الله إلى نفسه، **ولهذا قال في الحديث:** " **يدع شهوته من أجلي** ". اهـ. **وهذه الفضيلة تجرنا إلى فضيلة أخرى، وهي أن الصيام رفعة في الدرجات. وذلك لقوله تعالى:" إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به "**.

الفضيلة الرابعة: الصيام رفعة في الدرجات، والله تعالى يعطي على الصيام ما لا يعطي على غيره:

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في" فتح الباري: ٤/ ١٣٠":

المراد بقوله: " إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"، أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطَّلعَ عليها بعض الناس. اهـ.

وقال القرطبي -رحمه الله-: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير. اهـ.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من حسنة عملها ابن آدم إلا كُتبت له عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف، قال الله-عز وجل-:إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به.....". الحديث.

وفي الصحيحين: " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به...". الحديث.

وفي رواية الترمذي: " إن ربكم يقول: كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والصوم لي وأنا أجزي به ". (صحيح الترغيب والترغيب:٩٦٨)

وفي رواية ابن خزيمة: "كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به...". الحديث

وقال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله- في " لطائف المعارف ص٢٨٣": يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله ﷻ أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن ما حرَّم الله، وصبر على الأقدار المؤلمة، وتجتمع الثلاثة في الصوم، فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عن ما حرَّم الله على الصائم من شهوات، وصبرًا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع، والعطش، وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه، وخصوصا ألم الصيام؛ لأنه من الصبر

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠). اهـ. بتصرف واختصار.

قال ابن عيينة -رحمه الله-: وقوله: " إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"، لأن الصوم هو الصبر، يصبّر الإنسانُ نفسه عن المطعم، والمشرب، والمنكح، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)

– فالصوم مدرسة يتعلم فيها الإنسان الصبر، والصبر كما نعلم أنه من أفضل الأخلاق التي يتخلَّق بها المسلم، وقد أمر الله تعالى المسلمين بالصبر في كل الأوقات، وعلى أي الأحوال، **كما قال تعالى:**

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥)

وقد فسَّر الإمام البغوي –رحمه الله– الصبر بالصيام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٣) ففسر الصبر بالصوم؛ لأن الصبر في الأصل: الحبس، ***من ذلك قولهم:*** "**مات فلان صبرًا**" أي: محبوسًا في قيده، ففي شهر رمضان حبس النفس عن المأكل، والمشرب، والملذات، ولذلك سمَّاه النبي ﷺ بشهر الصبر، ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه النسائي بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** " **شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر** ".

(صحيح الجامع:٣٧١٨)

وقال ابن رجب أيضًا–رحمه الله– في" لطائف المعارف ص٢٨٤" : " واعلم أن مضاعفة الأجر تكون بأسباب منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل: كالحرم... ومنها شرف الزمان: كشهر رمضان وعشر ذي الحجة... فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفا على سائر الصيام لشرف زمانه. وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها ". اهـ.

ويقول المناوي –رحمه الله– في "فيض القدير:٤/٢٥٠": " قوله سبحانه "**وانا أجزي به**" أي أجزي به صاحبه جزاء كثيرًا، وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أكله إلى ملك مقرب، لأنه سر بيني وبين عبدي، لأنه لما كف نفسه عن شهواتها جوزي بتولي الله سبحانه إحسانه ".

وقوله تعالى عن الصيام "**أنا أجزي به**"**:** يدل على أن الكريم إذا قال: أنا أتولَّى الإعطاء بنفسي، كان في ذلك إشارة إلى عظم قدر الجزاء، وسعة العطاء وتفخيمه.

يقول المناوي أيضا في "المصدر السابق:٤/٢٥١": " وقوله تعالى "**وأنا أجزي به**" اشارة إلى عظم الجزاء وكثرة الثواب، لأن الكريم إذا أخبر بانه يعطي العطاء بلا واسطة اقتضي سرعة العطاء وشرفه ". اهـ.

الفضيلة الخامسة: الصيام سبيل تحصيل التقوى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)

***قال البغوي** -رحمه الله- في" معالم التنزيل:١/١٩٦": وقوله تعالى* ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني بالصوم، لأن الصوم وسيلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات ". اهـ.

***وقال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره:١/٣١٨** ":* لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضيق لمسالك الشيطان ". اهـ

والتقوى هي أعلى المراتب التي يصل إليها العبد المؤمن.

وقد اختلفت تعبيرات العلماء في تعريف التقوى: لكن التعريفات كلها تدور حول مفهوم واحد، وهو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله ﷻ وعذابه، وذلك بامتثال المأمور، واجتناب المحظور.

فالصيام وسيلة للتقوى؛ لأن النفس إذا امتنعت عن الحلال طمعًا في مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، فأولى أن تنقاد إلى الامتناع عن الحرام.

والتقوى أصل كل خير، ولهذا جمع الله الأولين والآخرين، ثم وصاهم بوصية واحدة، **فقال تعالى:**

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء: ١٣١)

***قال الغزالي** -رحمه الله-:* أليس الله- تعالى- أعلم بصلاح العبد من كل أحد، أوليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر، وأجل في العبودية، وأولى بالحال، وأنجح في المآل من هذه الخصلة التي هي التقوى؛ لكان الله أمر بها عباده. فلما وصَّى الله بهذه الخصلة الواحدة وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها، علمت أنها الغاية التي لا متجاوز عنها، ولا مقصود دونها، وعلمت كذلك أنها الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات.

- **بل جعل الله تعالى الصيام شعار الأبرار الذين هم سادات المتقين**

فقد أخرج عبد بن حميد في "المنتخب والضياء في المختارة" عن أنس** ﷺ **أن النبي** ﷺ **قال:

" **جعل اللهُ عليكم صلاةً[1] قوم أبرار، يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأثمة ولا فجَّار** ".

(صحيح الجامع: ٣٠٩٧) (الصحيحة:١٨١٠)

فلنحرص على الصيام حتى نكون من عباد الله المتقين، **الذين قال عنهم رب العالمين:** ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، ***وصدق القائل حيث قال:***

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد

فـتقوى الله خير الـزاد زخـرًا ... وعند الله للأتقى مزيـد

١ـ قال المناوي – رحمه الله – في فيض القدير:٣|٣٤٨"والظاهر أن المراد بالصلاة هنا الدعاء من قبيل دعائه لقوم أفطر عندهم كقوله: صلت عليكم الملائكة.

الفضيلة السادسة: الصوم في الصيف جزاؤه الري والسقيا يوم العطش:

أخرج البزار عن ابن عباس-رضي الله عنهما-:" أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك، قد رفعوا الشِّراع[1] في ليلة مظلمة، إذا هاتف[2] فوقهم يهتف يا أهل السفينة! قِفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبرًا، قال: إن الله تعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف؛ سقاه الله يوم العطش ". - وفي رواية: "إن الله قضى على نفسه أن مَن عطش نفسه لله في يوم حار، كان حقًا على الله أن يُرويه يوم القيامة "فكان أبو موسى يتوخَّى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًا فيصومه ".

(ضعيف الترغيب والترغيب:٥٧٨)

وإن كان الحديث فيه ضعف إلا أن المعنى صحيح، فصيام نهار الصيف من خصال الإيمان؛ لطول نهار الصيف وشدة حره.

وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: **" صوموا يومًا شديدًا حره لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل؛ لظلمة القبور ".** (لطائف المعارف ص ٤٤٦)

وقد نقل ابن رجب-رحمه الله-عن بعض السلف أنه قال: " بلغنا أنه يوضع للصُّوَّام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب، فيقولون: يا رب نحن نُحَاسَب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم". (لطائف المعارف ص ٢٢٨)

وما بكى العباد على شيء عند موتهم إلا على ما يفوتهم من ظمأ الهواجر.

- قال معاذ بن جبل ﷺ عند موته: **" مرحبًا بالموت، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم كنتُ أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر".**

(حلية الأولياء:١|٢٣٩) (الزهد للإمام أحمد ص١٨٠)

---

١ ـ الشِّراعُ: بكسر الشين المعجمة، وهو قلع السفينة الذي يصفقه الريح فتمشي.
٢ ـ الهاتف: هو من يُسمع صوته ولم ير شخصه "المصباح".

الفضيلة السابعة: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة:

أخرج الإمام أحمد عن عامر بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **" الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة ".** (الصحيحة:١٩٢٢) (صحيح الجامع: ٣٨٦٨)

قال البيهقي –رحمه الله–: هذا موقوف على كلام أبي هريرة ﷺ، ***وقال السخاوي:*** وهو أصح.

وفي "حلية الأولياء" وكتاب "الزهد" للإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: **" الشتاء غنيمة العابدين".**

وقال الحسن –رحمه الله–: نِّعم زمان المؤمن الشتاء، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه.

وقال قتادة –رحمه الله–: إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن، يقصر النهار فيصومه، ويطول الليل فيقومه.

وكان عبيد بن عمير إذا جاء الشتاء يقول: يا أهل القرآن، قد طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصومكم.

قال ابن رجب–رحمه الله–: " معنى أنّها غنيمة باردة أنّها حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة، فصاحبها يحوز هذه الغنيمة بغير كلفة ". (لطائف المعارف ص ٤٥)

وقال المناوي –رحمه الله– في "فتح القدير:٤/٢٤٣" **في شرح حديث:** **" الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة".** أي: الغنيمة التي تحصل بغير مشقة، والعرب تستعمل البارد في شيء ذي راحة، والبرد ضد الحرارة؛ لأن الحرارة غالبة في بلادهم، فإذا وجدوا بردًا عدُّوه راحة. اهـ.

فبادر أخي... إلى الصيام في الشتاء تُحَصّل الغنائم وتكن من السعداء.

الفضيلة الثامنة: دعوة الصائم لا ترد:

فالصائم له دعوة مستجابة لا ترد.

١- فقد أخرج البيهقي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " ثلاثُ دَعواتٍ لا تُرَدُّ: دعوةُ الوالِدِ لِولدِهِ، ودعوةُ الصائِمِ، ودعوةُ المسافِرِ ". (صحيح الجامع: ٣٠٣٢)

٢- وفي رواية: " ثلاثُ دَعواتٍ مستجاباتٌ: دعوةُ الصائِمِ، ودعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافِرِ[١]".

(رواه البيهقي من حديث أبي هريرة وهو في صحيح الجامع: ٣٠٣٠)

قال المناوي-رحمه الله-: " ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ" أي: عند الله تعالى إذا توفرت شروطها[٢]. " دَعْوَةُ الصَّائِمِ" حتى يفطر، ومراده كامل الصوم الذي صان جميع جوارحه عن المخالفات، فيجاب دعاؤه لطهارة جسده بمخالفة هواه ". (فيض القدير للمناوي :٣/ ٣٠٠)

٣- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزتي لا نصرنك ولو بعد حين ". (صحيح الترمذي: ٢٠٥٠)

٤- وأخرج ابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: " إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد ".

وهذا الحديث فيه مقال فقد ضعفه ابن القيم -رحمه الله-، وقال الشيخ الألباني: اسناد هذا الحديث ضعيف". ويغني عنه ما قبله من الأحاديث الصحيحة.

فأعظم به من دعاء يخرج من شفاه ذابلة من الصيام، يصعد إلى السماوات فما يرده الله بكرمه.

" وكان النبي إذا أفطر قال: ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله ".

(رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- وهو في صحيح الجامع:٤٦٧٨)

- وقال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- يقول إذا أفطر: " اللهم إني اسالك برحمتك التي وسعت كل شيء ان تغفر لي ".

هدية: مَن واظب على صيام رمضان وأقام الصلاة وأدى الزكاة فهو من أولياء الرحمن.

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" بسند حسن حسنه الألباني عن عمير الليثي قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: " إن أولياء الله المُصلُّون، ومَن يقيم الصلوات الخمس التي كتبهن الله، ويصوم رمضان، ويحتسب صومه، ويؤتي الزكاة ".

١- قال المناوي- رحمه الله - كما في التيسير بشرح الجامع الصغير: ١/ ٩٤٩": وقوله:(ثلاثُ دَعواتٍ): بفتح العين، (مستجاباتٌ): عند الله تعالى إذا توفرت شروطها وأركانها، (دعوةُ الصائِمِ) ولو نفلًا حتى يفطر ومراده كامل الصوم، (ودعوةُ المظلومِ) على ظلمه حتى ينتصر. اهـ.

٢- بأن لا يدعوا بإثم أو قطيعة رحم، أو يدعوا على نفسه أو ولده، وأن يستفتح دعائه بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، ثم يصلي ويسلم على النبي ﷺ، ويختم دعائه أيضًا بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأن يستحضر قلبه أثناء الدعاء، فذلك أرجى للقبول.

الفضيلة التاسعة: للصائم فرحتان:

أخرج الإمام مسلم والإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه ".**

- وفي رواية: **" وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه ".**

وقال الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه على مسلم: " ٨ /٢٧٧ " :

الصائم يدخل عليه السرور عند فطره، وذلك بفرحه بنعمة الله عليه بان أتم عليه صيامه، وأعانه عليه، ويدخل فيه فرحه بزوال جوعه وعطشه، وكل على حسب حاله، فمنهم من يفرح الفرح المباح بزوال الجوع، ومنهم من يفرح الفرح المستحب بإتمام الصوم والإعانة عليه، ومنهم من يفرح بذلك كله. أما الفرح بالصوم في الآخرة عند لقاء الله- تعالى-، فهو فرح بما يراه من جزاء الله تعالى وثوابه، وتذكر نعمة الله عليه بتوفيقه لذلك. اهـ.

وقال ابن رجب -رحمه الله- في كتابه" لطائف المعارف ص٢١٥-٢٢١":

أما فرحة الصائم عند فطره: فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعًا. فكما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره، فأحب عباده إليه أعجلهم فطرًا، والله وملائكته يصلون على المتسحرين، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار؛ تقربًا إلى الله وطاعة له، ويبادر إليها في الليل تقربًا إلى الله وطاعة له، ومن أكل وشرب وحمد الله، فإنه يُرجَى له المغفرة، أو بلوغ الرضوان بذلك، **وفي الحديث:** **" إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها "** وربما استجيب دعاؤه عند ذلك، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابًا على ذلك.

قال أبو العالية -رحمه الله-: الصائم في عبادة، وإن كان نائمًا على فراشه، وقد كانت حفصة - رضي الله ***عنها***- تقول: **"يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي".** فالصائم في ليله ونهاره في عبادة، ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر، وفي ليله طاعم شاكر. ***وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره:*** **" الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر".**

ومَن فهِم هذا الذي أشرنا إليه، لم يتوقف في معنى فرح الصائم عند فطره، فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضله ورحمته، **في قول الله تعالى:** ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

(يونس:٥٨)

وأما فرحه عند لقاء ربه: فبما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرًا، فيجده أحوج ما كان إليه **كما قال تعالى:** ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجرًا﴾ (المزمل:٢٠)

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران:٣٠)

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة:٧)

وسيأتي معنا قول ابن عيينة –رحمه الله–: إن ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء في المظالم، بل يدخره الله عنده للصائم، حتى يدخله به الجنة ". **اهـ.** (**لطائف المعارف لابن رجب–رحمه الله–**)

يقول عيسى ابن مريم عليه السلام: **" إن هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما ".**

فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة.

والصائمون على طبقتين:

إحداهما: مَن ترك طعامه وشرابه وشهوته لله، يرجو عنده عوض ذلك، فهذا قد تاجر مع الله وعامله، والله تعالى لا يضيع أجر مَن أحسن عملًا، ولا يخيب معه مَن عامله، بل يربح عليه أعظم الربح.

الطبقة الثانية: مَن يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه، وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصُّوَّام صومهم صون اللسان عن البهتان والكذب
والعــارفون وأهـل الأنس صومــهم صون القلوب عن الأغيار والحجب

فيا معشر التائبين... صوموا اليوم عن شهوات الهوى؛ لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء، لا يطولنَّ عليكم الأمل باستبطاء الأجل، فإن معظم نهار الصيام قد ذهب، ووعيد اللقاء قد اقترب. اهـ بتصرف

الفضيلة العاشرة: رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك:

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى:" كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيام لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"

- وفي رواية عند مسلم وابن حبان في "صحيحه" واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، يقول الله: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، والشراب من أجلي، وشهوته من أجلي، وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخُلُوف فم الصائم حين يخلف من الطعام، أطيب عند الله من ريح المسك ".

- وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن الحارث بن الحارث الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن الله أمر يحيي بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأوحى الله إلى عيسى، إما أن يبلغهن أو تبلغهن، فأتاه عيسي فقال له: إنك أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال له: يا روح الله. إني أخشى إن سبقتني أن أُعذَّب أو يُخسَف بي، فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرفات فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل مَن أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، ثم أسكنه دارًا، فقال له: اعمل وارفع إليَّ، فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا. وأمركم بالصلاة، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله ﷻ يُقبِل بوجهه على عبده ما لم يلتفت. وأمركم بالصيام،[1] ومثل ذلك كمثل رجل معه صُرّة مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكَّ نفسه. وأمركم بذكر الله كثيرًا، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، فأتى حصنًا حصينًا؟ فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله.

قال النبي ﷺ:" وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من فارق الجماعة قيد شبرٍ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يُراجع، ومَن ادَّعى دعوى الجاهلية فإنه من جُثى جهنم، فقال رجل: يا رسول الله! وإن صلى وصام؟ فقال:" وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى الله الذي سمَّاكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله ".

(صحيح الجامع: ١٧٢٤)

١- هذا هو الشاهد من الحديث.

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله–في" لطائف المعارف ص٢٢١": خُلُوف الفم: رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة، لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، ولكنها عند الله طيبة، حيث إنها ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته، كما أن دم الشهيد يجئ يوم القيامة يثعب دمًا، لونه لون الدم وريحه ريح المسك.

ومعنى طيب ريح خلوف الصائم عند الله: أن الصيام لما كان سرًا بين العبد وبين ربه في الدنيا، أظهره الله في الآخرة علانية للخلق؛ ليشتهر بذلك أهل الصيام، ويُعْرَفون بصيامهم بين الناس لإخفائهم صيامهم في الدنيا.

قال مكحول –رحمه الله–: يُروّح على أهل الجنة برائحة، فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحًا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذا الريح فيقال: هذه رائحة أفواه الصائمين.

قال أبو حاتم –رحمه الله–: شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا، فرقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيبُ خُلُوفهم أطيب من ريح المسك؛ ليُعْرَفوا من ذلك الجمع بذلك العمل. نسأل الله بركة هذا اليوم.

وقد تفوح رائحة الصيام في الدنيا وتستنشق قبل الآخرة. وهذا ما حدث مع عبد الله بن غالب الحرَّاني من العُبَّاد المجتهدين في الصلاة والصيام، فلما دُفِن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرؤي في المنام، فسُئِل عن تلك الرائحة التي توجد في قبره فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ". اهـ.

قال ابن جماعة –رحمه الله– : وفي الحديث أن خُلُوف فم الصائم أفضل من دم الجريح في سبيل الله؛ **لأن النبي ﷺ قال في الشهيد: "إن ريحه ريح المسك"، وقال ﷺ في خلوف الصائم:" أطيب من ريح المسك ".**

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" فتح الباري:٤/١٤٢": ويؤخذ من قوله:" **أطيب من ريح المسك**" أن الخلوف أعظم من دم الشهادة في سبيل الله، لأن دم الشهيد شُبه بريح المسك، والخلوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة كما لا يخفى ". اهـ.

وقفة: يقول المناوي –رحمه الله– في" فيض القدير:٤/٢٥٠ ": وقوله:" **ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**". فإذا كان هذا بتغير ريح فمه فما ظنك بصلاته وقراءته وسائر عباداته؟

فخلوف أفواه الصائمين لهو أطيب من ريح المسك، وعُري المحرمين لزيارة بيته أجمل من لبس الحلل، ونوح المذنبين على أنفسهم من خشيته، أفضل من تسبيح المسبحين، وانكسار المخبتين لعظمته هو الجبر، وذل الخائفين من سطوته هو العز، تهتك المحبين لعظمته في محبته أحسن من الستر، بذل النفوس للقتل في سبيله هو الحياة، جوع الصائمين لأجله هو الشبع، عطشهم في طلب مرضاته هو الري، نصب المجتهدين في خدمته هو الراحة.

الفضيلة الحادية عشر: الصوم يطهر القلب من الغش والحقد والغل والوسوسة:

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والبزار عن ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: " صوم شهر الصبر[1] وثلاثة أيام من كل شهر: يذهبن وحر الصدر[2] ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٣٢)

فالصوم يطهر القلب من الآفات التي تبعث على الحقد، والحسد، والرياء، والكبر، والغرور، والغل، والغضب، والوسوسة، والغش. ويحمله على كظم الغيظ، والعفو، والصفح، والتسامح.

الفضيلة الثانية عشر: الصيام فدية لبعض الأعمال، أو بدل منها، أو كفارة لها:

وهذا ليس لأي عبادة إلا الصوم.

أولًا: فقد جعل الله الصيام فدية لحلق شعر الرأس، الذي هو من محظورات الإحرام في الحج والعمرة.

قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ . . ﴾ (البقرة: ١٩٦)

وأخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ. فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْفِدْيَةِ؟ فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي خَاصَّةً. وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةً. حُمِلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي. فَقَالَ ﷺ: مَا كُنْتُ أُرَى الْوَجَعَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى – أَوْ مَا كُنْتُ أُرَى الْجَهْدَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى – أَتَجِدُ شَاةً؟ فَقُلْتُ: لا. فَقَالَ: صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُطْعِمَ فَرَقًا بَيْنَ سِتَّةٍ، أَوْ يُهْدِيَ شَاةً، أَوْ يَصُومَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ".

وفي رواية للبخاري: قال:" لعلك آذاك هوامك؟ قال: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: احلق رأسك، وصُم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو أنسك بشاة ".

ثانيًا: جعل الله الصيام بدلًا عن الهدي الواجب لمن عجز عن الهدي. قال تعالى في تتمة الآية السابقة: ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(البقرة: ١٩٦)

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره" الجامع لأحكام القرآن: ٢/٣٩٩" : وقوله:(فَمَن لَّمْ يَجِدْ) يعني الهدي، إما لعدم المال أو لعدم الحيوان، صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده. اهـ.

١- شهر الصبر: هو شهر رمضان.

٢- وحر الصدر: بفتح الواو والحاء المهملة بعدها راء، أي غشه، وحقده، ووساوسه (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير :٥/١٦٠)

ثالثًا: جعل الله الصيام معادلًا للهدي وإطعام المساكين في كفارة الصيد بالنسبة للمحرم.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (المائدة: ٩٥)

قال ابن جرير –رحمه الله– في" تفسيره:٥/٥٧" **: وقوله (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا)** يعني أنه على قاتل الصيد محرمًا عدل الصيد المقتول من الصيام، وذلك أن يقوّم الصيد حيًا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذي قتله فيه المحرم، ثم يصوم مكان كل مدّ يومًا ".

رابعًا: جعل الله صيام ثلاثة أيام بدل كفارة اليمين عند العجز عنها وهي إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم أو تحرير رقبة، على التخيير بين هذه الثلاثة.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة:٨٩)

قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسيره "جامع البيان:٥/٣٠ " :" وقوله "فَمَن لَّمْ يَجِدْ" لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفرها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه في كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد، وقوله " فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ " أي فعليه صيام ثلاثة أيام. اهـ.

خامسًا: جعل الله كفارة القتل الخطأ، وكفارة الظهار عتق رقبة مؤمنة، هذه هي الكفارة الأساسية، فمن لم يجد رقبة مؤمنة؛ فعليه أن يصوم بدلًا عنها شهرين متتابعين.

فسبحان من جعل الصوم ينوب عن عتق الرقاب عند العجز، ويجعله كفارة القتل الخطأ.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٩٢)

قال ابن كثير–رحمه الله– في" تفسيره:١/٨١١ " : أي هذه توبة القاتل خطأ إذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين. اهـ.

وقال تعالى بشأن كفارة الظهار: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المجادلة:٣، ٤)

قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسيره "جامع البيان:١٢/١٠ ":

" يقول تعالى ذكره: فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحررها فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ". اهـ.

ودليل ذلك أيضا ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: **" بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل[١]، فقال: يا رسول الله هلكت، قال: ما لك، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. قال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا. فسكت النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أُتِيَ[٢] النبي ﷺ بعَرَق[٣] فيها تمر، قال: أين السائل؟ قال: أنا، قال: خذ هذا فتصدَّق به. فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها[٤] – يريد الحرتين– أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك ".**

فسبحان من جعل الصيام بدلًا من هذه الأمور ولم يجعل الصلاة أو الحج... وهذه خاصية للصوم، فأنعم به من عباده.

---

١ ـ الرجل: اسمه "سلمان بن صخر"
٢ ـ أُ تِيَ: بالبناء للمجهول لأنه وقع في رواية البخاري "فجاء رجل من الأنصار " وفي رواية للدارقطني "فجاء رجل من ثقيف "
٣ العَرَق أو العَرْق: بفتح الراء أو سكونها وهو الزنبيل وهو المكتل الذي يسع خمسة عشر صاعًا.
٤ ـ لابتيها: بين طرفي المدينة.

الفضيلة الثالثة عشر: الصوم سياحة هذه الأمة:

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١١٢)

قال الطبري –رحمه الله– في تفسيره "٦/٣٦ ٣٨٠" وقوله تعالى: ﴿السَّائِحُونَ﴾ فإنهم: الصائمون.

وهو قول أبي هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن، والضحاك، وعطاء.

وقالت عائشة –رضي الله عنها–: " سياحة هذه الأمة: الصيام ".

وقال ابن عباس –رضي الله عنهما–: كل ما ذكر الله في القرآن السياحة: "هم الصائمون". وكذا قال الضحاك.

وقال أبو عمرو العبدي –رحمه الله– ﴿السَّائِحُونَ﴾ الذين يديمون الصيام من المؤمنين".

وقال الضحاك –رحمه الله–: كل شيء في القرآن ﴿السَّائِحُونَ﴾ فإنه الصائمون ".

وقال ابن عيينة –رحمه الله–: إذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح". اهـ.

وقال الطبري –رحمه الله– في تفسيرها" ١١/١٦٤": وكأن بعض أهل العربية يقول:" نرى أن الصائم إنما سمي سائحًا، لأن السائح لا زاد معه، وإنما يأكل حيث يجد الطعام، فكأنه أخذ من ذلك ". اهـ.

وقال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٢٥) *قال ابن عباس –رضي الله عنهما–*: (سَائِحَاتٍ: أي صائمات) وهو قول قتادة والضحاك.

الفضيلة الرابعة عشر: الصوم جنة عن الشهوات:

١- أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم. إني صائم والذي نفسي بيده لخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يقول الله: يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها"

- *وفي رواية:*" الصيام جنة، وإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفسي بيده لخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه ".

٢- ***وعند الإمام أحمد وابن حبان من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:*** " **يا كعب بن عُجرة! الصوم جُنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة برهان - أو قال: قربان - يا كعب ابن عُجرة. الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها** ".

٣ - ***أخرج الترمذي والنسائي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له:*** " **ألا أدلك على أبواب الخير، قلت: بلى يا رسول الله: قال: الصوم جنة، والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفئ الماء النار .....**". **الحديث**

٤- ***وأخرج الطبراني من حديث أبي إمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **الصيام جُنَّةٌ، وهو حصنٌ من حصونِ المؤمن، وكل عمل لصاحبه إلا الصيام، يقول الله: الصيام لي، وأنا أجزي به** ".

(صحيح الجامع: ٣٨٨١)

قال ابن الأثير في "النهاية" : معنى كونه جنة: أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات.

قال ابن حجر -رحمه الله-: **الجنة:** الوقاية والستر، وتبيَّن بالروايات متعلق هذا الستر وأنه من النار، وبهذا جزم ابن عبد البر - رحمه الله -.

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: معناه: ستره من الآثام، أو من النار، أو من جميع ذلك، وبالأخير جزم النووي- رحمه الله -.

وقال ابن العربي -رحمه الله-: إنما كان الصوم جنة من النار، لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات. كما جاء في الحديث " **حفت الجنة بالكاره، وحفت النار بالشهوات** ".

قال الشيخ عمر الأشقر -رحمه الله-: الصيام جنة ووقاية يقي العبد الذنوب والمعاصي، والبغيض من الكلام، والسيئ من الفعال، وبذلك يتقي العبد النار.

قال المناوي -رحمه الله- في "فتح القدير: ٤/٢٤٢ ": الصوم وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة؛ لأنه يقمع الهوى، ويردع الشهوات التي هي من أسلحة الشيطان، فإن الشبع مجلبة للآثام، منقصة للإيمان ***ولهذا قال النبي ﷺ:*** " **ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه** ".

فإذا ملأ بطنه انتكست بصيرته، وتشوَّشت فكرته، وغلب عليه الكسل والنعاس؛ فيمنعه عن العبادات، ويشتد غضبه وشهوته فيقع في الحرام. اهـ بتصرف واختصار

قال بعض السلف: طوبي لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

٤- ***وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:*** " **خصاء أمتي الصيام** ".

- **ففي الصوم كسر للشهوة، وقمع للشيطان بسد مسالكه وتضييق مجاريه؛ ولذلك وصفه الرسول ﷺ للشباب الذين ليس لهم قدرة على الزواج؛ ليُقوِّم أخلاقهم، ويكسر شهوتهم، ويعدل سلوكهم.**

٥- فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يا معشر[١] الشباب! مَن استطاع منكم الباءة[٢] فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[٣] ".**

قال ابن الأثير-رحمه الله- في "النهاية" : نزل رسول الله ﷺ كسر الصوم للشهوة منزلة رض الأنثيين في حسم الشهوة.

وقال ابن القيم -رحمه الله- في" روضة المحبين ص٢٢٠ ": وقد أرشد النبي ﷺ الشباب الذين هم مظنة العشق إلى أنفع أدويتهم ... فأرشدهم إلى الدواء الشافي الذي وضع لهذا الأمر، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل وهو: الصوم، فإنه يكسر شهوة النفس، ويضيق عليها مجاري الشهوة، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها والصّوم يضيِّق عليها ذلك، فيصير بمنزلة وجاء الفحل، وقل من أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعُفَت جدا والصوم المشروع يعدلها واعتدالها حسنة بين سيئتين، ووسط بين طرفين مذمومين، وهما العُنّة والغُلمة الشديدة المفرطة وكلاهما خارج عن الاعتدال، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وخير الأمور أوساطها....."اهـ. باختصار

وقال مجاهد بن جبر- رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥)" الصبر هو الصيام ". لأن الصائم يصبر نفسه عن شهواتها.

(أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره :١٥٤/١) (انظر شرح العمدة: كتاب الصيام لشيخ الإسلام: ٢٥/١)

فيا معشر الصُّوَّام... اعلموا أن مَن صام عن شهواته في الدنيا؛ أدركها غدًا في الجنة

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ٢٤)

قال وكيع -رحمه الله- هي أيام الصوم إذا تركوا فيها الأكل والشرب.

وقال مجاهد-رحمه الله- وغيره: نزلت في الصائمين.

واعلموا كذلك أن مَن صام عمَّا سوى الله، فعيده يوم لقائه ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾

(العنكبوت: ٥)

---

١ - يا معشر: هم جماعة يشملهم وصف معين، والشباب يتميز بالحركة والنشاط، وهو اسم لمن بلغ إلى أن يكمل ثلاثين، وقيل: اثنين وثلاثين.
(انظر فتح الباري:٩|١٠٨)
والشباب مخاطب بهذا الحديث بناء على الغالب، لأن أسباب قوة الداعي إلى النكاح فيه موجودة بخلاف الشيوخ، والمعنى معتبر إذا وجد في الكهول والشيوخ أيضًا.
٢ الباءة: مؤنة التزويج، وقيل: يحمل على المعنى الأعم: فيشمل القدرة على الوطء، ومؤنة التزويج. (المصدر السابق)
٣- الوجاء: هو رضُّ عروق الخصية من غير إخراج لها (والرَّضُّ: الدق والكسر) فيكون شبيهًا بالخِصاء، لأنه يذهب شهوة الجماع.

الفضيلة الخامسة عشر: الصوم باب من أبواب الخير:

فقد أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبلﷺ أن النبي ﷺ قال له: " ألا أدلك على أبواب الخير، قلت: بلى يا رسول الله: قال: الصوم جنة، والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل" ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٦ -١٧)

الفضيلة السادسة عشر: الصوم كفارة للخطيئات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . **إلى قوله تعالى:** وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥)

فالصيام من أعظم أعمال البر والخير والتي أعد الله لعامليها أمرين عظيمين: الأول:(مغفرة) وذلك بغفران الذنوب: أي بسترها وعدم المحاسبة عليها، ونكرت المغفرة لتعظيم أمرها، فهي إذا مغفرة شاملة. الثاني: (وأجرًا عظيمًا) أي يوم الحساب.

١- وأخرج البخاري ومسلم عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " فتنة الرجل[١] في أهله [٢] وماله [٣] ونفسه [٤] وولده [٥] وجاره [٦]؛ يكفرها الصيام، والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

ونبَّه على الصلاة والصيام على العبادة الفعلية، وبالصدقة على المالية، وبالأمر والنهي على القولية فهي أصول المكفرات والمراد الصغائر فقط، ويحتمل أن يكون كل واحد من الصلاة وما بعدها يكفر المذكورات كلها لا كل واحد منها، وخص الرجل لأنه غالبا صاحب الحكم في داره وأهله، وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم. (أفاده المناوي-رحمه الله- في فيض القدير:٤|٤٢٣)

وقد ترجم البخاري على الحديث السابق بقوله: "باب الصوم كفارة ".

وقال القاري -رحمه الله- كما في " مرقاة المفاتيح:٩/٣٢٨": " والمعنى أن الرجل يبتلى ويمتحن في هذه الأشياء، ويسأل عن حقوقها، وقد يحصل له ذنوب من تقصيره فيها، فينبغي أن يكفرها بالحسنات، **لقوله تعالى:** ﴿إِن الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود:١٤٤)

---

١ - قال المناوي - رحمه الله -: - فتنة الرجل: أي ضلاله ومعصيته، أو ما يعرض له من الشر، ويدخل عليه من المكروه.
٢ - في أهله: مما يعرض له معهم من نحو هَمٍّ وحزن، أو شُغل بهم عن كثير من الخير، وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقهم وتأديبهم وتعليمهم.
٣ - وماله: بأن يأخذه من غير حلّه، ويصرفه في غير محلّه، أو يشغله لفرط محبته عن كثير من الخيرات.
٤ - وفتنته في نفسه: بالركون إلى شهواتها ونحو ذلك.
٥ - وفتنته في ولده: بفرط محبته، والشغل به عن المطلوبات الشرعية.
٦ - وفي جاره: بنحو حسد، وفخر، ومزاحمة في حق، وإهمال في تعهد.

٢- ***وأخرج البخاري ومسلمَ من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:*** **" مَن صام رمضان إيمانًا[١] واحتسابًا[٢]؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه "**.

والمراد بالإيمان: الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب: طلب ثوابه من الله تعالى.

(فتح الباري:٤/١١٥)

قال ابن بطال-رحمه الله- ومعنى قوله: **" إيمانًا واحتسابًا "** يعنى مصدقًا بفرض صيامه، ومصدقًا بالثواب على قيامه وصيامه ومحتسبًا مريدًا بذلك وجه الله، بريئًا من الرياء والسمعة، راجيًا عليه ثوابه ".

(المصدر السابق)

قال الخطابي-رحمه الله- وقوله: **" إيمانًا واحتسابًا "** يعني يصومه على التصديق بوجوبه، والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كاره، ولا مستثقل بصيامه ولا مستطيل لأيامه، لكن يغتنم ويفرح بطول أيامه لعظم ثوابه.

- ***وقال الخطابي أيضًا وقوله:*** **"واحتسابا"** يعني يريد الله تعالى لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص. (انظر شرح مسلم للنووي:٦/٣٩).

- ***قال أبو حاتم بن حبان - رحمه الله-*** **" إيمانًا "** يريد إيمانا بفرضه، و **" احتسابا "** يريد به مخلصًا فيه.

- ***وقال البغوي -رحمه الله- وقوله*** **"واحتسابا "** أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه، يقال: فلان يحتسب الأخبار ويتحسبها؛ أي يطلبها. (انظر شرح السنة:٦/٢١٨).

- ***قال المناوي -رحمه الله- في "فتح القدير:٦/٢٠٧ ":*** "وفي الحديث السابق بيان فضل رمضان وصيامه وأن تنال به المغفرة، وأن الإيمان هو: التصديق والاحتساب، وهو شرط لنيل الثواب والمغفرة في صوم رمضان، فينبغي الإتيان به بنية خالصة وطوية صافية امتثالًا لأمره تعالى واتكالًا على وعده من غير كراهية وملالة لما يصيبه من أذى الجوع والعطش وكلفة الكف عن قضاء الوطر، بل يحتسب النصب والتعب في طول أيامه ولا يتمنى سرعة انصرامه ويستلذ مضاضته ". اهـ.

٣- ***أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:*** **" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".**

فأنعم به من شهر تُغْفَر فيه الزلات، وتُكفَّر السيئات، وينال العبد فيه رضا وعفو رب الأرض والسماوات.

١- إيمانا: أي صام رمضان تصديقا بما جاء في ذلك من نصوص الكتاب والسنة في فرضيته وفضله.

٢- واحتسابا: أي من صام رمضان طلبا لثواب الله تعالى ورغبة في الأجر، واحتسابه على الله، مخلصا لله في ثوابه. (انظر شرح النووي على مسلم: ٥/٢٨٦)

٤- ***وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن الحبيب النبي ﷺ قال:*** " صوم يوم عرفة كفارة السنة الماضية والسنة المقبلة ". (صحيح الجامع:٣٨٠٥)

٥- ***وعند الإمام مسلم من حديث أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " صيام يوم عرفة، إني أحتسب على الله أن يُكَفِّر السنة التي قبله [١] والتي بعده [٢]، وصيام يوم عاشوراء، إني أحتسب على الله أن يُكَفِّر السنة التي قبله ".

ذكر المناوي -رحمه الله- في "فتح القدير:٤/٢٣ ": قول الطيبي -رحمه الله- حيث قال: وكان القياس:" أن يقول: أرجو من الله"، فوضع محله " أحتسب" وعدَّاه بـ (على) التي للوجوب على سبيل الوعد؛ مبالغة في تحقيق حصوله. اهـ. بتصرف واختصار.

ولهذا قال صاحب العدة: ولذلك فإن الصيام لا يوجد شيء مثله من العبادات.

الفضيلة السابعة عشر: الصيام جنة من النار:

أخرج الإمام أحمد والنسائي عن عثمان بن أبي العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " الصوم جُنَّة من عذاب الله ". (صحيح الجامع: ٣٨٦٧)

وعند الإمام أحمد والنسائي أيضًا بلفظ: " الصيام جُنَّة من النار كجُنَّة أحدكم من القتال ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٢) (صحيح الجامع: ٣٨٧٩)

- ***وعند الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " إنما الصيام جُنَّة يستجن بها العبد من النار". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨١) (صحيح الجامع: ٣٨٦٧)

- ***وعند أحمد أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** " الصيام جُنَّة، وحصن حصين من النار ". (صحيح الترغيب والترهيب:٩٨٠) (صحيح الجامع: ٣٨٨٠)

- ***وأخرج الإمام أحمد والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى:*** " الصيام جنة . يستجن بها العبد من النار، وهو لي وأنا أجزى به ". (صحيح الجامع: ٤٣٠٨)

- ***وعند الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول ﷺ :*** " الصيام جنة وهو حصن من حصون المؤمن، وكل عمل لصاحبه إلا الصيام، يقول الله الصيام لي وأنا أجزي به ".

(صحيح الجامع: ٣٨٨١)

قال المناوي -رحمه الله- في "فيض القدير:٤/٢٥٠: وقوله تعالى" وأنا أجزي به" أي أجزي صاحبه جزاءً كثيرًا، وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أكله إلى مَلك مقرب ولا غيره، لأنه سر بيني وبين عبدي، لأنه لما كف نفسه عن شهواتها جُوزي بتولي الله سبحانه إحسانه ". اهـ.

١- يكفر السنة الماضية التي قبله: يعني الصغائر المكتسبة فيها

٢- والسنة التي بعده: بمعني أنه تعالى يحفظه أن يُذنِب فيها، أو يعطي من الثواب ما يكون كفارة لذنوبها، أو يكفرها حقيقة ولو وقع فيها، ويكون المكفِّر مقدَّمًا على المكفَّر.

- ***وأخرج ابن حبان من حديث كعب بن عُجْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" يا كعب بن عجرة: الناسُ غاديان: فغادٍ في فكاك نفسه فمعتقها، وغاد فموبقها. يا كعب بن عُجْرَةَ: الصلاةُ قربان، والصوم جُنَّة، والصدقة تطفئُ الخطيئة كما يذهبُ الجليدُ على الصفا ".**

- ***وعند الإمام أحمد وابن حبان من حديث جابر ﷺ بلفظ:*** **" يا كعب بن عُجرة! الصلاة برهان -أو قال: قربان- والصوم جُنّة[حصينة]، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عُجرة. الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها ".**

- ***قال القاضي عياض -رحمه الله-:***"(جُنَّه) أي ستر ومانع من الرفث والآثام أو مانع من النار وساتر منها أو مانع من جميع ذلك" (الإكمال: ١١٠/٤).

- ***قال المناوي-رحمه الله- في "فيض القدير: ٢٤٢/٤":*** وقول النبي ﷺ **" الصيام جُنَّة"** أي: وقاية في الدنيا من المعاصي، بكسر الشهوة، وحفظ الجوارح، وفي الآخرة من النار.

(التيسير بشرح أحاديث الجامع الصغير:٢٠٧/٢)

- ***وقال أيضًا:*** الصوم جُنَّة من عذاب الله، فليس للنار عليه سبيل، كما لا سبيل لها على مواضع الوضوء؛ لأن الصوم يغمر البدن كله فهو جُنَّة لجميعه، يرحمه الله به من النار.

- ***وقال ابن عبد البر-رحمه الله-:*** والجنة: الوقاية والستر من النار، وحسبك بهذا فضلًا للصائم.

(التمهيد: ٥٤/١٩)

- ***وقال ابن العربي-رحمه الله-:***" إنما كان الصوم جُنَّة من النار؛ لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات ". (فتح الباري: ١٢٥/٤)

- ***وقال ابن حجر-رحمه الله-:***" فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترًا له من النار في الآخرة ". (فتح الباري: ١٢٥/٤)

- ***أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: أنه قال:*** **" ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله تعالى إلا بَاعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا ".**

- ***وفي رواية في الصحيحين بلفظ:*** **" من صام يومًا في سبيل الله بَعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا ".**

- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" من صام يومًا في سبيل الله، زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفًا ".** (صحيح الجامع:٦٣٣٤)

- ***وأخرج النسائي وابن ماجه عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" من صام يوما في سبيل الله، باعد الله بذلك اليوم حر جهنم عن وجهه سبعين خريفًا ".** (صحيح الجامع:٦٣٢٩)

قال القرطبي-رحمه الله-: في سبيل الله: طاعة الله، فالمراد: مَن صام قاصدًا وجه الله. (فتح الباري:٢٨٤٠)

وقال المناوي -رحمه الله- في "فيض القدير:٦/١٦١: "وقوله" **في سبيل الله**": أي لله ولوجهه، أو في الغزو، أو الحج. وقوله" **باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا**"، أي: سبعين سنة، والمعنى: نحاه وباعده منها مسافة تقطع في سبعين سنة إذ كل ما مّر خريف انقضت سنة، فهو من إطلاق اسم البعض على الكل، وذكر الخريف من ذكر الجزء وإرادة الكل، وخص دون غيره من الفصول لأنه وقت بلوغ الثمار وحصول سعة العيش، وذلك لأنه تحمّل مشقة الصوم ومشقة الغزو فاستحق هذا التشريف".

اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: وقوله "**سبعين خريفًا**" والخريف زمان معلوم من السنة، والمراد به هنا العام، وتخصيص الخريف بالذكر دون بقية الفصول الصيف والشتاء والربيع، لأن الخريف أزكى الفصول لكونه يجنى فيه الثمار ". (تحفة الأحوذي:٥/٢٠٧)

- وأخرج النسائي من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَن صام يومًا في سبيل الله، باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام** ". (صحيح الجامع:٦٣٣٠)

وعند الطبراني في الكبير عن عمرو بن عبسه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **من صام يوما في سبيل الله بَعُدت منه النار مسيرة مائة عام** ". (صحيح الترغيب والترهيب:٩٨٨)

وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **مَن صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض** ". (صحيح الترغيب والترهيب:٩٩١) (صحيح الجامع:٦٣٣٣)

فإذا كان هذا بصيام يوم واحد نفلًا يباعد الله بينه وبين النار "**سبعين خريفا**"، وفي رواية "**مائة عام**"، وفي رواية "**خندقًا**": أي مسافة خمسمائة عام، فما ظنّك بصيام شهر رمضان وهو الفريضة؟

- **فمن أراد أن تعتق رقبته من النار فعليه بالصيام.**

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني بإسناد حسن عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **لله ﷻ عند كل فطر عتقاء** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠١)

- وفي رواية أخرى: " **إن لله- تعالى-عند كل فطرٍ عتقاء من النار وذلك في كل ليلة** ".

(صحيح الجامع:٢١٧٠)

فأنعم به من شهر تُعْتَق فيه الرقاب من النار، ويُنَال فيه رحمة العزيز الغفار.

الفضيلة الثامنة عشر: جميع العبادات تُوفَّى منها مظالم العباد إلا الصيام:

فقد أخرج البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال في حديث له: قال الله تعالى:" لكل عمل كفارة، والصوم لي وأنا أجزي به ".

ومعناها أن لكل عمل من المعاصي كفارة من الطاعات.

ورواه الإمام أحمد بلفظ:" كل العمل كفارة إلا الصوم، الصوم لي وانا أجزي به ".

ورواه أبو داود الطيالسي بلفظ:" قال ربكم تبارك وتعالى: كل العمل كفارة إلا الصوم ".

قال ابن رجب-رحمه الله-: في كتابه" لطائف المعارف ص ١٦٨-١٧٠ ":" الاستثناء يعود إلى التكفير بالأعمال، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما قاله سفيان بن عيينة قال: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها:" إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة" خرجه البيهقي في" شعب الإيمان" وغيره وعلى هذا فيكون المعنى: أن الصيام لله عز وجل فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عز وجل، وحينئذ فقد يقال: إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها فلا يبقى لها أجر فإنه روى" أنه يوزن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض، فإن بقي من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها إلى الجنة" قال سعيد بن جبير وغيره، وفيه حديث مرفوع خرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا فيحتمل أن يقال في الصوم: إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى أجره فيها " .اهـ.

يقول ابن حجر-رحمه الله- في "فتح الباري:٤/١٣١-١٣٣ " بعد ذكره لقول ابن عيينة:" قال القرطبي: قد كنت استحسنت هذا الجواب إلى أن فكرت في حديث المقاصة فوجدت فيه ذكر الصوم في جملة الأعمال حيث قال:" المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا..." الحديث. وفيه: " **فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاته فطرحت عليه، ثم طرح في النار**". فظاهره أن الصيام مشترك مع بقية الأعمال في ذلك، قلت: إن ثبت قول ابن عيينة أمكن تخصيص الصيام من ذلك" ثم قال:" والاستثناء المذكور يشهد لما ذهب إليه ابن عيينة، لكنه وإن كان صحيح السند فإنه يعارضه حديث حذيفة "**فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة** ".

وقال بعدها ابن حجر:" فقد لا يعارض الحديث وهو كون الأعمال كفارة إلا الصوم لأنه يحمل في الإثبات على كفارة شيء آخر مخصوص، وفي النفي على كفارة شيء آخر.

وعلى هذا فقوله:" كل العمل كفارة إلا الصيام" يحتمل أن يكون المراد إلا الصيام فإنه كفارة وزيادة على ثواب الكفارة، ويكون المراد بالصيام الذي هذا شأنه ما وقع خالصا سالما من الرياء والشوائب والله أعلم.

(نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان للشيخ الدكتور سيد بن حسين العفاني- حفظه الله-:١/٣٣-٣٤)

الفضيلة التاسعة عشر: الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة:

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: **" الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه قال: فيشفعان [1]".**

(صحيح الترغيب والترهيب:٩٨٤) (صحيح الجامع:٣٨٨٢)

قال الملا علي القاري -رحمه الله-: " وهذا دليل على عظمتها ".**(المرقاة شرح المشكاة:٤/٤٥٤)**

قال الألباني -رحمه الله-: أي: يشفِّعهما الله فيه ويدخله الجنة.

وقال المناوي -رحمه الله-: وهذا القول يحتمل أنه حقيقة، بأن يجسد ثوابهما، ويخلق الله فيه النطق، "والله على كل شيء قدير" ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل.

قال الألباني معلقًا على كلام المناوي: والأول هو الصواب الذي ينبغي الجزم به هنا، وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعًا أقرع. ونحوه كثير، وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف . رضي الله عنهم . بل هي طريقة المعتزلة، ومَن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة:٢) فحذار أن تحذو حذوهم؛ فتضل وتشقي. والعياذ بالله تعالى. **(تعليق الألباني على صحيح الترغيب والترهيب:١|٤١١)**

وقال الطيبي -رحمه الله-: " والقول من الصيام والقرآن إما أن يأوَّل أو يجرى على ما عليه النص، والأخير هو المنهج القويم والصراط المستقيم، فإن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل عن إدراك العوالم الإلهية ولا سبيل لها إلا الإذعان له والإيمان به". **(اهـ بتصرف من شرح الطيبي على المشكاة: ١٤١/٤)**

١ـ فيشفعان: أي يطلبان من الله المغفرة والرضوان، ودخول الجنة.

الفضيلة العشرون: نداء الريان لعاشر الصُّوَّام:

١ – أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن في الجنة بابًا يقال له الرَّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلِق فلم يدخل منه أحد ". – زاد الترمذي:" ومَن دخله لم يظمأ أبدًا ".

– وفي رواية عند البخاري:" في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون".

– وفي رواية ابن حبان:" في الجنة باب يقال له الريان أعد للصائمين، فإذا دخل أخرهم أغلق".

– وفي رواية ابن خزيمة:" للصائمين باب في الجنة يقال له الريان، لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخل آخرهم أُغلِق، ومَن دخل شرب، ومَن شرب لم يظمأ أبدًا ". (صحيح الترغيب والترهيب:٩٧٩)

وقوله في الحديث السابق" فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد". كرر نفي دخول غيرهم منه تأكيدًا.

قال الزين بن المنير–رحمه الله– في الحديث السابق: إنما قال:" في الجنة"، ولم يقل: "للجنة" ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة، فيكون أبلغ في التشوق إليه.

٢ – وأخرج البخاري ومسلم أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "مَن أنفق زوجين [١] في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمَن كان من أهل الصلاة [٢] دعي من باب الصلاة، ومَن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومَن كان من أهل الصيام دعي من باب الرَّيان، ومَن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، فقال أبو بكر ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَن دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال: نعم. وأرجو [٣] أن تكون منهم ".

وقال الزركشي –رحمه الله–: الرَّيان على وزن فَعْلان أي: كثير الري، وهو نقيض العطش، سمي بذلك لأنه جزاء للصائمين على عطشهم وجوعهم وليس المراد المقتصر على شهر رمضان، بل ملازمة النوافل من ذلك وكثرتها. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:٤/٢٣٠)

ونقل الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في "فتح الباري: ٤/١٣٤"عن القرطبي أنه قال: اكتفي بذكر الري عن الشبع؛ لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه، ثم قال الحافظ: أو لكونه أشق على الصائم من الجوع.

وقال الحافظ أيضًا: وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه؛ لأنه مشتق من الري، وهو مناسب لحال الصائمين.

---

١ - زوجين: قال الهروي- رحمه الله -: والزوجين: فرسان أو عبدين أو بعيرين.
٢ - قال النووي - قال العلماء: معناه من كان الغالب عليه في عمله وطاعته ذلك." شرح مسلم: ٧/١١٦"
٣ - قال أبو حاتم:" عسى" من الله واجب،" وأرجو" من النبي حق.

وقال النووي-رحمه الله-: قال العلماء: سمى باب الريان تنبيها على أن العطشان بالصوم في الهواجر سيروي وعاقبته إليه وهو مشتق من الري".

وقال عز الدين بن عبد السلام: " أما تخصيص دخولهم الجنة بباب الريان، فإنهم ميزوا بذلك الباب لتميز عبادتهم وشرفها ". **(فوائد الصوم لعز الدين بن عبد السلام)**

وقال المهلب-رحمه الله-: إنما أُفرد الصائمين بهذا الباب ليسارعوا إلى الري من عطش الصيام في الدنيا إكرامًا لهم واختصاصًا، ليكون دخولهم في الجنة هينًا غير متزاحم عليهم عند أبوابها، كما خص النبي ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ بباب في المسجد يقرب منه خروجه إلى الصلاة، ولا يزاحمه فيه أحد، وأغلق سائرها إكرامًا وتفضيلًا. **(فتح الباري: ١٥/٤)**

الفضيلة الحادية والعشرون: الصوم سبيل إلى الجنة:

أخرج الإمام أحمد عن حذيفة ﷺ قال: **" أسندتُ النبي ﷺ إلى صدري، فقال: مَن قال: "لا إله إلا الله " خُتِم له بها دخل الجنة، ومَن صام يومًا ابتغاء وجه الله خُتِم له بها دخل الجنة، ومَن تصدَّق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتِم له بها دخل الجنة ".** **(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٥) (صحيح الجامع: ٦٢٢٤)**

ورواه الأصبهاني بلفظ: **" يا حذيفة من ختم له بصيام يوم يريد به وجه الله تعالى أدخله الله الجنة ".**

ورواه البزار بلفظ: **" مَن خُتِمَ له بصيام يومٍ دخل الجنة ".** **(صحيح الجامع: ٦٢٢٤)**

قال المناوي -رحمه الله- "في فيض القدير: ٦/١٢٣": أي مَن ختم عمره بصيام يوم، بأن مات وهو صائم، أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب ". اهـ

وقال ابن خزيمة -رحمه الله-: إيجاب الله ﷻ الجنة للصائم يومًا واحدًا، إذا جمع مع صومه صدقة، وشهود جنازة، وعيادة مريض. اهـ.

ويدل على هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم وابن خزيمة من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ فقال أبو بكر: أنا، فقال: مَن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: مَن تبِع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: مَن عاد منكم اليوم مريضًا: قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل [في يوم] إلا دخل الجنة"**

- وفي رواية: **"ما اجتمعن في أمرئ إلا دخل الجنة ".**

وصيام شهر رمضان مع باقي الأعمال سبيل لسكنى الجنان.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرةﷺ أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان"، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ".

وأخرج النسائي بسنده عن طلحة بن عبيد الله ﷺ:" أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله. أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة: قال: "الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا"، قال: أخبرني بما افترض الله عليَّ من الصيام قال: "شهر رمضان إلا أن تطوع شيئًا"، قال: أخبرني بما افترض الله عليَّ من الزَّكاة، فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، فقال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئًا ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئًا، فقال: رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق – أو دخل الجنة إن صدق ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابرﷺ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال:" أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا، أأدخل الجنة؟ قال: نعم، قال: والله لا أزيد على ذلك شيئًا ".

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل، أو جلس في أرضه التي ولد فيها... ".

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ يقول: سمعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يخطُبُ في حَجَّةِ الوداعِ فقالَ:" اتَّقوا اللَّهَ ربَّكم، وصلُّوا خمسَكم، وصوموا شَهرَكم، وأدُّوا زَكاةَ أموالِكم [طيبة بها أنفسكم]، وأطيعوا ذا أمرِكم، تدخلوا جنَّةَ ربِّكُم ". (صحيح الترمذي:٦١٦) (صحيح الجامع: ١٠٩)

وأخرج أبو داود من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسولَ اللَّهِ ﷺ:" خمسٌ مَن جاءَ بهن مع إيمانٍ دَخَلَ الجنةَ: مَن حافَظَ على الصلواتِ الخمسِ على وضوئِهن، وركوعِهن، وسجودِهن، ومواقيتِهن؛ وصامَ رمضانَ، وحجَّ البيتَ إن استطاع إليه سبيلًا، وأعطى الزكاةَ طيِّبَةً بها نفسُه، وأدَّى الأمانةَ ".
قالوا: يا أبا الدرداءِ، وما أداءُ الأمانةِ؟ قال: الغُسْلُ مِن الجَنابَةِ. (صحيح أبي داود:٤٢٩)

فالله. الله في الصيام... وكأن الحُور تنادي على أهل الصيام وتقول:

أتطلب مثلي وعنِّي تنام ونوم المحبين عنا حـرام
لأنـا خُلقنـا لكـل امرئ كثير الصلاة براه الصيام

ومن يتابع الصيام يكون في أعلى الجنان:

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن في الجنة غرفًا يري ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناس نيام ". (صحيح الجامع: ٢١١٩)

وأخرج الترمذي من حديث علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ في الجنَّةِ غُرفًا تُرَى ظُهورُها من بطونِها وبطونُها من ظُهورِها فقامَ أعرابيٌّ فقالَ: لمن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ فقالَ: لمن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطَّعامَ، وأدامَ الصِّيامَ، وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ ". (صحيح الترمذي: ١٩٨٤)

وأخرج الطبراني في الكبير والحاكم عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ في الجنةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظَاهِرِها. فقال أبو مالِكٍ الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: هي لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وباتَ قائِمًا والناسُ نِيامٌ ".

(صحيح الترغيب: ٩٤٦)

- فهنيئًا للصائمين هنيئًا لمَن أُعدَّت لهم هذه الغرف، وما أدراك ما الغرف.

- *فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة، كما تراءون الكوكب في السماء".

- *وفي رواية عند البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :* " أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ".

الفضيلة الثانية والعشرون: مَن صام وقام رمضان فهو مع الصِّدِّيقين والشهداء:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء:٦٩)

وأخرج البزار وابن خزيمة بسند صحيح صححه الألباني عن عمرو بنِ مُرَّة الجُهَنِيِّ ﷺ قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله. أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فمِمَّن أنا؟ قال: "من الصِّدِّيقين والشهداء ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٦١)

ورواه ابن خزيمة بلفظ: " جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان وقمته، وآتيت الزكاة، فقال رسول الله: "من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء ".

قال ابن خزيمة- رحمه الله-: استحقاق قائمة اسم الصديقين والشهداء، إذا جمع مع قيامه رمضان صيام نهاره، وكان مقيمًا للصلوات الخمس، مؤديًا للزكاة شاهدًا لله بالوحدانية مُقِرًا للنبي ﷺ بالرسالة.

يا معشر الصُّوَّام... صوموا عن الدنيا وعن الشهوات، وجاهدوا أنفسكم حتى تسمعوا نداء الملائكة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ٢٤) فمَن ترك لله في الدنيا طعامًا وشرابًا مدة يسيرة، عوَّضه الله عنه طعامًا وشرابًا لا ينفد، ومَن ترك شهوته عوَّضه الله في الجنة أزواجًا لا يمتن أبدًا.

قال الحسن -رحمه الله-: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس، إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين، وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش، فباهى بك الملائكة، وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي؛ رغبة فيما عندي، اشهدوا أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوجني إياك. (لطائف المعارف ص١٦٧)

فهنيئًا للصائمين:

من يرد ملك الجنان	فلْيَدَعْ عنه التواني
وليقم في ظلمة الليل	إلى نور القرآن
وليصل صومًا بصوم	إن هذا العيش فاني
إنما العيش جوار الله	في دار الأمان

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبَّل منا الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، وأن يرزقنا صحبة الحبيب العدنان صلى الله عليه وسلم.

تتمة للموضوع: هناك بعض الفضائل المتعلقة بالصيام ومنها:

أولا: فضل وثواب تعجيل الفطر

١- الأمة المحمدية على خير طالما يعجلون الفطر:

. فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار** ". (صحيح الجامع:٧٢٨)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** ".

قال النووي -رحمه الله- . في شرحه على مسلم: ٨/٢٠٨": فيه الحث على تعجيل الفطر بعد تحقق غروب الشمس، ومعناه لا يزال أمر الأمة منتظما، وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه (أي: الفطر) كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه ". اهـ

- وأخرج ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، فإن اليهود يؤخرون** ". (صحيح الجامع:٧٦٩٥)

قال المناوي -رحمه الله- في (فيض القدير:٦/٣٩٥): " وتعجيل الفطر امتثالا للسنة ومخالفة لأهل الكتاب، حيث يؤخرون الفطر إلى ظهور النجوم، وفيه إيماء إلى أن فساد الأمور يتعلق بتغير هذه السنة، وأن تأخير الفطر عَلَمٌ على فساد الأمور". اهـ.

قال القسطلاني -رحمه الله-: " وأما ما يفعله الفلكيون من التمكين بعد الغروب بدرجة، فمخالف للسنة؛ فلذا قَلَّ الخير".

وقال أيضا: " تعجيل الفطر وتأخير السحور من خصائص هذه الأمة ".

٢- الأمة المحمدية على السنة طالما أنهم يعجلون الفطر:

فقد أخرج ابن حبان من حديث سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **لا تزال أمتي على سنتي، ما لم تنتظر بفطرها النجوم** ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧٤)

وهذه الخيرية تصيب الأمة بأسرها لبركة اتباع السنة، وينال مُحيي هذه السنة مخالفةً لأهل الكتاب من هذه الخيرية النصيب الوافر.

٣- تعجيل الفطر لمخالفة أهل الكتاب:

فقد مر بنا الحديث الذي أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، فإن اليهود يؤخرون** ". (صحيح الجامع:٧٦٩٥)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون** ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى، وإذا كانت مخالفتهم سببا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة". اهـ.

٤- تعجيل الفطر وتأخير السحور من أخلاق النبوة:

- فقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداءﷺ قال: " **ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة** ". (صحيح الجامع:٣٠٣٨)

- وأخرج الطبراني أيضا في الكبير من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **إنا- معشر الأنبياء- أمرنا أن نعجل إفطارنا، ونؤخر سحورنا، ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة**" ***. وفي رواية*** " **وأن نضرب بأيماننا على شمائلنا** ". (صحيح الجامع:٢٢٨٦)

قال المناوي- رحمه الله- في" فيض القدير: ٦/٤٥٠": " تعجيله بعد تيقن الغروب من سنن المرسلين، فمن حافظ عليه تخلق بأخلاقهم؛ ولأن فيه مخالفة أهل الكتاب في تأخيرهم إلى اشتباك النجوم، وفي ملتنا هذا شعار أهل البدع، فمن خالفهم واتبع السنة لم يزل بخير، فإن أخر غير معتقد وجوب التأخير ولا ندبه، فلا خير فيه كما قال الطيبي . رحمه الله.: إن متابعة الرسول هو الطريق المستقيم، ومن تعوج عنها فقد ارتكب المعوج من الضلال ولو في العبادة ".

٥- تعجيل الفطر حث عليه النبي أمته-صلى الله عليه وسلم-:

فقد أخرج ابن عدى في الكامل من حديث أنسﷺ قال: " **بكروا بالإفطار، وأخروا السحور** ".

(صحيح الجامع:٢٨٣٥)

قال الألباني -رحمه الله- في حاشية صحيح الجامع: وهو في حكم المرفوع، لا سيما وله شاهد مرفوع من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- وهو مخرج في صفة الصلاة". اهـ.

وقال ابن عبد البر-رحمه الله-: " أخبار تعجيل الفطر وتأخير السحور متواترة ".

٦- وتعجيل الإفطار كان من هدى النبي-صلى الله عليه وسلم-:

فقد أخرج الإمام أحمد أبو داود والترمذي من حديث أنس ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء ". (الصحيحة:٢٨٤٠) (صحيح الجامع:٤٩٩٥)

- وأخرج أبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان من حديث أنس ﷺ قال: " ما رأيت رسول الله ﷺ قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر، ولو على شربة من ماء ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧٦)

ثانياً: فضل وفوائد السحور

١- السحور بركة:

- فقد أخرج الطبراني من حديث سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " البركة في ثلاثة: في الجماعة، والثريد، والسحور ". (الصحيحة:١٠٤٥)

- وأخرج أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان عن العرباض بن سارية ﷺ قال: " دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان، فقال: هَلُمَّ إلى الغَدَاءِ المُبَارك ".

(صحيح الترغيب:١٠٦٧) (صحيح الجامع:٧٠٤٣)

- وأخرج النسائي من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " عليكم بهذا السحور، فإنه هو الغذاء المبارك ". (صحيح الجامع:٤٠٨١)

- وأخرج ابن حبان من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " هو الغذاء المبارك" يعني: السحور". (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٦٨)

- وأخرج الإمام أحمد والنسائي عن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: " دخلت على النبي وهو يتسحر فقال: إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوها ".

(صحيح الترغيب والترهيب:١٠٦٩) (صحيح الجامع:١٦٣٦)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"تَسَحَّروا فإن في السحور بركة ".

قال ابن دقيق العيد -رحمه الله-: هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية، فإن إقامة السنة يوجب الأجر وزيادته، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إضرار بالصائم. (فتح الباري)

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: " إن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة: وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوِّي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، والتسبب بالصدقة على مَن يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نِيَّة الصوم لمَن أغفلها قبل أن ينام ". (فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤/٢٥٠)

٢- السحور فيه مخالفة أهل الكتاب:

أصبح السحور شعار المسلمين لما فيه من مخالفة أهل الكتاب، فإنهم لا يتسَحَّرون.

كما ثبت ذلك في "صحيح مسلم" عن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" فصلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب [١] أَكَلَةُ السَّحور[وفي رواية: أكَلَةُ السَّحَر] [٢] ".**

– ***قال ابن دقيق العيد–رحمه الله–:*** ومما يعلل به استحباب السحور: المخالفة لأهل الكتاب لأنه ممتنع عندهم، وهذا أحد الوجوه المتقضية للزيادة في الأجور الأخروية.

– ***وقال التوربشتي–رحمه الله–:*** والمعنى أن السحور هو الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب؛ لأن الله تعالى أباحه لنا إلى الصبح بعدما كان حرامًا علينا أيضًا في بدء الإسلام، وحرَّمه عليهم بعد أن يناموا أو مطلقًا، ومخالفتنا إياهم تقع موقع الشكر لتلك النعمة.

– ***وقال الخطابي– رحمه الله–:*** " معنى هذا الكلام الحث على السحور، وفيه إعلام بأن هذا الدين يسر لا عسر فيه، وكان أهل الكتاب إذا ناموا بعد الإفطار لم يحل لهم معاودة الأكل والشرب إلى وقت الفجر. اهـ. (فتح الباري شرح صحيح البخاري)

– ***وقال شيخ الإسلام ابن تيميه–رحمه الله–*** : وفي الحديث دليل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشرع

٣- الله وملائكته يصلون على المتسحرين:

فقد أخرج ابن حبان والطبراني في "الأوسط" عن ابن عمر– رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال:

" إن الله تعالى وملائكته يُصلُّون [٣] على المُتَسحِّرين ".

(صحيح الترغيب والترهيب:١٠٦٦) (صحيح الجامع: ١٨٤٤)

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" السحور أكلة بركة فلا تدعوه، ولو أن يتجرَّع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله ﷻ وملائكته يُصلُّون على المتسحرين " .**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٦٩) (صحيح الجامع:٣٦٨٣)

١- فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أي الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم: السحور، فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحب لنا السحور (أفاده النووي - رحمه الله -)

٢ - أكلة السحر: هي السحور: وأكله: المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشية وإن كثر المأكول فيها، والأكلة: بضم الهمزة: اللقمة، والصواب: فتح الهمزة (أفاده النووي - رحمه الله -)

٣ - صلاة الله: هي الثناء على العبد في الملأ الأعلى (نقل هذا عنه البخاري في صحيحه).
وصلاة الملائكة: هي الدعاء للعبد كما ورد في الحديث الإمام مالك عن أبي هريرة ﷺعن رسول الله ﷺ " إذا صلى أحدكم، ثم جلس في مصلاه لم تزل الملائكة تصلي عليه: اللهم اغفر له: اللهم اغفر له [اللهم تب عليه]، ....." الحديث.

٤- السحور دليل على خيرية الأمة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" لا يزال الناس بخير، ما عجَّلُوا الفطر ".** ***– زاد الإمام أحمد:*** **" وأخَّرُوا السحور ".**

والحكمة من تأخير السحور أنه أرفق بالصائم، وأقوى على العبادة، وألا يزاد في النهار من الليل، وتعجيل الفطر وتأخير السحور من خصائص هذه الأمة. (فيض القدير للمناوي-رحمه الله-)

٥- السحور يجعل الإنسان يتعرض للوقت المبارك:

فوقت السحور وقت مبارك من جهات متعددة، فهو وقت النزول الإلهي، وهو وقت إجابة الدعوات.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" ينزل ربنا – تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ ومَن يسألني فأعطيه، ومَن يستغفرني فأغفرُ له ".**

وهو أيضًا من أفضل أوقات الاستغفار: وقد أثنى الله تعالى على المستغفرين في هذا الوقت **قال تعالى:**

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران:١٧)

٦- السحور يجعل الإنسان يدرك صلاة الفجر في وقتها:

لأن النائم قد تفوته صلاة الفجر، أما الذي يُؤخِّر السحور فهو أقرب الناس حفاظًا على هذه الصلاة العظيمة، **التي قال تعالى عنها:** ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨)

قال المفسرون: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنًا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها، حيث شهدها الله، وملائكة الليل وملائكة النهار، **والتي قال عنها** ﷺ: **" ومن صلَّى الصبح في جماعة فكأنما صلَّى الليل كله ".** (رواه مسلم)، كما أن تأخير السحور أضمن لإجابة المؤذن بصلاة الفجر ومتابعته، ولا يخفى ما في ذلك من الأجر والثواب.

فلهذا وغيره كان النبي ﷺ يحث أمته على السحور وينصحهم بألا يتركوه.

كما بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" السحور أكله بركه: فلا تدعوه، ولو أن يتجرع أحدكم جرعة من ماء ".

(صحيح الترغيب والترهيب:١٠٦٩) (صحيح الجامع:٣٦٨٣)

– وعند ابن حبان من حديث ابن عمر- رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قال: قال رسول الله ﷺ: **" تسحروا ولو بجرعة من ماء ".** (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧١)

- **وكان صحابة النبي يسمون السحور بالفلاح**

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي وابن خزيمة والحاكم من حديث النعمان بن بشير ﷺ ***قال في حديث:***"**.... ثم قمنا معه -أي النبي ﷺ- ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أنا لا ندرك الفلاح، وكنا ندعو السحور الفلاح ".**

. وأخرج أبو داود والنسائي من حديث أبي ذر ﷺ ***قال في حديث له:"*** **..... فلما كانت الرابعة لم يقم - أي النبي ﷺ- فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح. قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر ..... ".** ***الحديث***

فما أسعدك يا عبد الله، يا مَن أطعت الله واستجبت لأمره، تأكل الأكلة، تكون لك فيها كل هذه البركة.

ثالثاً: فضل وثواب من فطر صائماً

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ**:" من فطر صائمًا، كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا ".**

(صحيح الجامع:٦٤١٥)

- *وفي رواية عند البيهقي*" من فطر صائمًا، أو جهز غازيًا، فله مثل أجره ".

- *وأخرج النسائي وابن خزيمة عن زيد بن خالد الجهني* ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ**:" من جهز غازيًا أو حاجًا أو خلفه في أهله، أو فطر صائمًا كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا"**

(صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧٨)

تنبيه: يستحب لمن أكل أن يقول لمن أطعمه:" أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة"، ***وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث أنس*** ﷺ**" أن النبي** ﷺ **جاء إلى سعد بن عبادة** ﷺ **، فجاء بخبز وزيت، فأكل، ثم قال النبي** ﷺ**:" أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار [١]، وصلت عليكم الملائكة ".**

رابعاً: فضل وثواب صدقة الفطر

أخرج أبو داود وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس - رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قال: **" فرض رسول الله . صدقة الفطر [٢] طهرة للصائم [٣] من اللغو [٤] والرفث [٥]، فمن أداها قبل الصلاة [٦]، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات ".** **(صحيح الترغيب والترهيب:١٠٨٥)**

---

١ - الأبرار: الأتقياء.
٢ - صدقة الفطر: زكاة الفطر.
٣ - طهره للصائم: يعني تنقيه من ذنوبه وتطهره منها.
٤ - اللغو: الكلام الذي لا فائدة فيه.
٥ - الرفث: الفحش من القول.
٦ - الصلاة: المقصود بها صلاة العيد.

تتمة لفضائل وفوائد وحِكم الصيام

مقدمة:

يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "من أسماء الله تعالى: "**الحكيم**" والحكيم مَن اتَّصف بالحكمة، والحكمة: إتقان الأمور ووضعها في مواضعها، ومقتضى هذا الاسم من أسمائه تعالى أن كل ما خلقه الله تعالى أو شرعه، فهو لحكمة بالغة علمها مَن علمها، وجهلها من جهلها.

وللصيام الذي شرعه الله وفرضه على عباده حِكَمٌ عظيمة وفوائد جمَّة:

فمن حِكَم الصيام: أنه عبادة يَتَقَرَّب بها العبد إلى ربه، بترك محبوباته المجبول على محبَّتها من طعام وشراب ونكاح؛ لينال بذلك رضا ربه والفوز بدار كرامته، فيتبين بذلك إيثاره لمحبوبات ربه على محبوبات نفسه، وللدار الآخرة على الدنيا.

ومن حِكَم الصيام: أنه سبب للتقوى إذا قام الصائم بواجب صيامه، **قال الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)

فالصائم مأمور بتقوى الله ﷻ وهي امتثال أمره، واجتناب نهيه، وذلك هو المقصود الأعظم بالصيام، وليس المقصود تعذيب الصائم بترك الأكل والشرب والنكاح؛ ***قال النبي*** ﷺ: " **مَن لم يَدَعْ قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يَدَعَ طعامه وشرابه** ". (رواه البخاري)

قول الزور: كل مُحَرَّم من الكذب والغيبة والشتم، وغيرها من الأعمال المحرَّمة. **والعمل بالزور**: العمل بكل فعل مُحَرَّم، من العدوان على الناس، بخيانة، وغش، وضرب الأبدان، وأخذ الأموال، ونحوها، ويدخل فيه الاستماع إلى ما يُحرَّم الاستماع إليه من الأغاني المحرَّمة، والمعازف: وهي آلات اللهو، والجهل: هو السفه، وهو مجانبة الرشد في القول والعمل، فإذا تمشَّى الصائم بمقتضى هذه الآية والحديث كان الصيام تربية نفسه، وتهذيب أخلاقه، واستقامة سلوكه، ولم يخرج شهر رمضان إلا وقد تأثَّر تأثُّرًا بالغًا يظهر في نفسه وأخلاقه وسلوكه.

ومن حِكَم الصيام: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بالغنى، حيث إن الله ﷻ قد يسَّر له الحصول على ما يشتهي، من طعام، وشراب، ونكاح مما أباح الله شرعًا، ويسَّره له قدرًا، فيشكر ربه على هذه النعمة، ويذكر أخاه الفقير الذي لا يتيسر له الحصول على ذلك، فيجود عليه بالصدقة والإحسان.

ومن حِكَم الصيام: التمرُّن على ضبط النفس والسيطرة عليها حتى يتمكَّن من قيادتها لما فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة، ويبتعد عن أن يكون إنسانًا بهيميًّا لا يتمكن من منع نفسه عن لذَّتها وشهواتها، لما فيه مصلحتها.

ومن حِكَم الصيام: ما يحصل من الفوائد الصحيَّة الناتجة عن تقليل الطعام، وإراحة الجهاز الهضمي فترة معيَّنة، وترسُّب بعض الفضلات والرطوبات الضارة بالجسم وغير ذلك. اهـ.

وهناك فوائد وفضائل أخرى للصيام منها[1]:-

١- كسر النفس:

فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبَطَر والغفلة. فإنه يهذب النفوس، ويكفها عن الشهوات، ويمنعها من البطر، ويصُدَّها عن الطغيان، ويبصرها بحقيقتها وضعفها، وشدة احتياجها إلى الطعام، الذي هو من بعض نعم الله عليها؛ فتذل وتتضاءل أمام عظمته القاهرة ﷻ.

٢- ومنها تخلِّي القلب للفكر والذكر: فإن تناول هذه الشهوات قد يقسي القلب ويعميه، وخلو البطن من الطعام والشراب ينوِّر القلب، ويوجب رقته، ويزيل قسوته، ويخليه للفكر والذكر.

يقول القسطلاني -رحمه الله- في كتابه" مدارك المرام في مسالك الصيام ص٧٩:" رقة القلب وغزارة الدمع وذلك من أسباب السعادة فإن الشبع مما يذهب نور الفرقان ويقضي بالقسوة والحرمان ".

٣- ومنها أن الصيام يضيق مجاري الدم: التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم.

كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم [فضيقوا مسالكه بالجوع]** ". (صحيح الجامع: ١٦٥٨)

فبالصيام تسكن وساوس الشيطان، وتتكسر ثورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم وِجَاء لقطعه عن شهوة النكاح، لأن النفس إذا شبعت رغبت في الشهوات، ولأن الشبع، والرِّي يحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة، وإذا جاعت امتنعت عما تهوى.

قال القاري-رحمه الله- في "مرقاة المفاتيح: ٤/٢٢٩": "والصيام ثالث أركان الإسلام شرعه سبحانه لفوائد أعظمها: كونه موجبا لشيئين أحدهما ناشئ عن الآخر: سكون النفس الأمارة بالسوء، وكسر شهواتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج، فإن به تضعف حركتها في محسوساتها، ولذا قيل: إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء، وإذا شبعت جاعت كلها، والناشئ عن هذا صفاء القلب عن الكدر فإن الموجب لكدوراته فضول اللسان والعين وباقيهما، وبصفائه تناط المصالح والدرجات". اهـ.

٤- والصيام سبيل للتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل: فالصائم لا يقول زورًا، ولا يتحدث بنميمة أو غيبة، وإلا فلا قيمة لصيامه، وما ناله من ذلك إلا الجوع والعطش.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **مَن لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** ".

١- (انظر لطائف المعارف، والموسوعة الفقهية الكويتية ففيهما المزيد).

٥- وللصوم كذلك فوائد وثمار أخلاقية منها: أنه يبعد المسلم عن الخطأ، سواء كان الخطأ بالفعل أو القول، فلا يتحدث إلا بالخير وهذا ما يتفق مع أخلاق المسلم، فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ولا يسب ولا يشتم، ولا يقابل السيئة بمثلها، بل يقابلها بالعفو والصفح والإحسان، **امتثالًا لقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ٣٤)

فيرد على مَن يجهل عليه، فيقول: "إني صائم" بصوت يسمع الشاتم فينزجر؛ وكذلك ليسمع به نفسه؛ ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته، وبذلك يحافظ على صومه من المكدرات، وإن كان المسلم مطالبًا بذلك في كل أحواله، إلا أنه في حق الصائم آكد.

يقول القسطلاني -رحمه الله- في كتابه مدارك المرام في مسالك الصيام ص ٨٠": وصيانة جوارح الإنسان عن استرسالها في المخالفات من أعظم ثمرات الصوم، بل هو الأصل في تحقيق المعنى، فإن النفس إذا مسها ألم الجوع ذلت وانقادت، وأذعنت، واشتغلت بماهي فيه عن الأمور الدنية، فتسكن جوارحها عن الحركات الردية، وتمتنع عن انتهاك المحارم المردية". اهـ بتصرف.

٦- الصيام يحض على الشفقة والرأفة والرحمة بأصحاب البطون الخاوية ومد يد العون إليهم:

يقول شوقي إبراهيم -رحمه الله-: الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، ولكل فريضة حكمة، وفرض الصوم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، فهو يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، ويكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر. حتى إذا جاع من أَلِفَ الشبع، وحُرِم المترف أسباب المنع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع.

ومنها أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بالامتناع عن هذه الشهوات في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك بتذكر من منع ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

روي عن يوسف عليه السلام أنه قيل له: " لِمَ تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع". فالصوم حرمان، وهذا تذكير عملي بجوع الجائعين، وبؤس البائسين، فيشعر الغني أن هناك معدات خاوية، وبطونًا خالية، وأحشاء لا تجد ما يسد الرمق، ويطفئ لهب الجوع، فيرقّ قلبه ويعطي المحتاجين، ويمد يد العون للمساكين، فلو تراحم الناس فيما بينهم ما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مظلوم، ولجفت الجفون عن المدامع، واطمأنت الجنوب في المضاجع، ولمحت الرحمة بينهم كل شقاء من المجتمع كما يمحو الصبح الظلام.

٧- الصوم يحملنا على شكر المنعم سبحانه وتعالى:

- يقول عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- في كتابه" فوائد الصيام ص ٢٥"

وإذا صام الإنسان عرف نعمة الله عليه في الشبع والري، فشكرها لذلك، فإن النعم لا تعرف مقدارها إلا بفقدها.

- وذكر القسطلاني -رحمه الله- في كتابه" مدارك المرام في مسالك الصيام. ص ٧٦" عندما تحدث عن مقاصد الصوم وفضائله: فقال: " تكثير الإنسان لشكر النعم، واعترافه بما سبق له من نعمة الشبع عند جوعه وعطشه فيجتهد في الشكر فإن الشيء إنما يعرف ما كان عليه بضده ". اهـ.

فالضد يظهر حسنة الضد

٨- قطع أسباب التعبد لغير الله:

فإذا إلف الإنسان الطعام والشراب والنكاح فإنه ربما ينسى الغاية التي من أجلها أوجد الله له الطعام والشراب، وهي الاستعانة على طاعته سبحانه، فإذا أصبح هم العبد وشاغله الطعام والشراب والمنكح أسرته وأذلته وصار عبدا لها. اهـ.

يقول المناوي في كتابه" فيض القدير" موضحا لهذه الحكمة: " إنما شرع الصوم كسرا لشهوات النفوس، وقطعا لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء، فإنهم لو دامو على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء، وقطعتهم عن الله، والصوم يقطع أسباب التعبد لغيره، ويورث الحرية من الرق للمشتهيات، لأن المراد من الحرية أن يملك الأشياء لا تملكه، فإذا ملكته فقد قلب الحكمة، فالصوم يورث قطع أسباب التعبد لغيره سبحانه وتعالى". اهـ. **(انظر الصوم في ضوء الكتاب والسنه" للأشقر ص ١١-١٢)**

٩- ومن فضائل الصوم كذلك: أن الصوم يعلم المسلم المراقبة الدائمة لله- تعالى-:

لأن الصائم يكون أمامه طوال يوم الصوم الطعام والشراب والزوجة، ولا يمنعه من ذلك إلا المراقبة الدائمة لله تعالى.

وبالجملة فإننا نستطيع أن نقول: إن الصيام جهاد للنفس، ومقاومة للأهواء ونزعات الشيطان التي قد تلوح له، ويتعود به الإنسان خُلق الصبر على ما قد يُحرم منه وعلى الأهوال والشدائد التي قد يتعرض لها، ويُعلِّم النظام والانضباط، وينمي في الإنسان عاطفة الرحمة والإخوة والشعور بالتضامن والتعاون التي تربط المسلمين ". **(الفقه الإسلامي وأدلته:٢/٥٦٦)**

١٠- ومن فضائل وفوائد الصيام: أنه علاج لكثير من الأمراض:

أ- علاج للإدمان.

فالصوم سمو بالروح إلى عالم الطهارة والخير، ومن هنا يجب الاستفادة من شهر رمضان في تحرير النفس، وخلاصها من كل ما هو مفسد ومدمر لها، مثل العادات السيئة: كالتدخين، والإفراط في استعمال المنبهات العصبية كالشاي والقهوة.

يقول الدكتور يسري عبد المحسن "أستاذ الطب النفسي والأعصاب بكلية طب جامعة القاهرة": " أما بالنسبة لحالات الإدمان بأنواعها المختلفة، سواء كانت من الأقراص المهدئة أو المنشطة أو على الحشيش والأفيون، أو الكوكايين والهيروين... فإن شهر الصوم قد يساعد كثيرًا في علاج هذه الحالات، وخصوصًا التي ظهر فيها الإدمان منذ فترة قصيرة؛ لأن الصوم مع الإرادة القوية يحقق عدم التعرض لتعاطي هذه المواد طوال فترة النهار حتى المغرب، ثم مع الإرادة القوية يستطيع المدمن أن يتغلب على الحنين، أو احتمالات الحاجة إلى تعاطي المادة التي أدمن عليها في فترة المساء، عن طريق ممارسة أنشطة العبادة: كالصلاة، وتلاوة القرآن الكريم، وسماع الأحاديث. وأن الاعتكاف في المسجد مع الانشغال المستمر بالممارسات الدينية المختلفة، يجعل المدمن في حالة من الطمأنينة والراحة النفسية، مع الإحساس بالأمان والهدوء الداخلي، الذي قد يبعده عن الإحساس بالحنين والحاجة إلى اللجوء لهذه السموم، وإذا لزم الأمر فقد يستطيع المدمن أن ينتظم على العلاج النفسي جنبًا إلى جنب، مع الاستفادة من صومه وتردده على المسجد في التخلص من عادته السيئة، وهنا يكون المسجد بمثابة المصحة النفسية في العزل الجزئي للمدمن خلال فترة المساء، أما في فترة النهار فإن الصوم وحده كفيل بضمان حسن سير العلاج، والامتناع عن تعاطي المواد المدمنة.

ب- وكذلك الصوم يحسن قوة دقات القلب وشدتها، ويعيد نشاطه على الوجه الأكمل.

فالقلب يضرب ٨٠ ضربة في الدقيقة الواحدة، أي مما يعادل ١١٥٢٠٠ مرة في الـ ٢٤ ساعة؟

وأنه لوحظ في الأيام الأولى من الصوم تناقص في عدد ضربات القلب، بحيث تصل إلى أقل من ٦٠ ضربة في الدقيقة، بينما يعود نبض القلب لكي يثبت على ٦٠ ضربة في الدقيقة طوال اليوم خلال فترة الصيام، وهذا النقص في عدد دقات القلب يوفر ٢٨٨٠٠ دقة في الـ ٢٤ ساعة، وهذا معناه أن القلب يأخذ راحته من ربع العمل الذي كان منوطًا به.

جـ - وكذلك الصوم يفيد في الأمراض الجلدية.

جاء في كتاب "قرة العين في رمضان" لعلي الجندي: أن الصوم له فوائد كبرى؛ لأن الصوم يمهد لخلو الجهاز الهضمي والأمعاء من الطعام لفترة ما، فتنشط فيها عصاراته لمواجهة الوجبة المقبلة، فتكون فرصة عملية الهضم أكبر، إذ إن تقارب فترات الطعام لا يعطي هذا الجهاز المهم من الجسم الفرصة الكافية للتخلص من الفضلات السابقة، التي تتغذى عليها الميكروبات، فتصبح بؤرة عفنة تشيع سمومها وتسبب أمراض كثيرة منها أمراض جلدية لا حد لها.

ويقول الدكتور محمد الظواهري "أستاذ الأمراض الجلدية بجامعة القاهرة": " إن علاقة التغذية بالأمراض الجلدية متينة، فالامتناع عن الغذاء والشراب مدة ما؛ يقلل من الماء في الجسم والدم، وهذا بدوره يدعو إلى قلة الماء في الجسم، وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المؤذية والميكروبية، وقلة الماء من الجلد تقلل أيضًا من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة والمنتشرة بمساحات كبيرة بالجسم، وأفضل علاج لهذه الحالات من الوجهة الغذائية هو الامتناع عن الطعام والشراب لفترة ما.

فـوائد الـصيـام الـطبـيـة

وقد أجرى الطبيب عصام العريان من مصر بحثًا على ١٢٠ صائمًا من الرجال والنساء لمختلف الأعمار فوجد الآتي:

- أن الصيام قد عمل على ضبط متوسط معدل الجلوكوز في الدم طوال الشهر من (٨٠-١٢٠).
- أن الصيام قد ساعد على تخلص الجسم من الدهنيات الزائدة.
- أن الصيام يحدث انخفاضًا في معدل الكولسترول للصائمين الذين بدأوا الصيام بكولسترول مرتفع، بينما لم يتأثر معدل الكولسترول للذين بدأوا الصيام وهو طبيعي لديهم.
- أن الصيام يحدث انخفاضًا في مستوى حمض البوليك، بينما لم يحدث أي تغير في مستوى البولينا في الدم أثناء الصيام.

ويؤخذ من أقوال الأطباء المنشورة في بعض الصحف والمجلات بمناسبة شهر رمضان الكريم: إن الصوم يفيد في تجنب أنواع من الأمراض، نذكر بعضها فيما يلي: -

١- السمنة والكرش: وهما داء الأكلة والكسالى والمترفين.
٢- النقرس: المعروف قديمًا بداء الملوك.
٣- ارتفاع الضغط الشرياني.
٤- التهاب الكبد وحويصلة الصفرة من الالتهابات والحصوات.
٥- التهاب الكُلى الحاد والحصوات البولية.
٦- أمراض القلب المزمنة التي تصحب البدانة والضغط العالي.
٧- اضطراب المعدة المصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية.
٨- مرض السكر: وقد كان علاج هذا المرض قبل كشف الأنسولين الصوم والحِمية.

فــوائــد الـصيــام الـصـحـيــة

١- يقوي الصيام جهاز المناعة فيقي الجسم من أمراض كثيرة، حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا اللمفاوية عشرة أضعاف أثناء النوم، وتزداد الخلايا T.lymphocytes المسئولة عن المناعة النوعية زيادة كبيرة، ونتيجة لزيادة البروتين الدهني تنخفض الكثافة؛ فتنشط الردود المناعية للجسم.

٢- يخفف الصيام ويهدئ من هياج الغريزة الجنسية وخصوصًا لدى الشباب، وذلك بهبوط مستوى هرمون التستوستيرون، وهو الهرمون المحرك والمثير للرغبة الجنسية، هذا ما أشار إليه الحديث النبوي الشريف، ***حيث قال النبي ﷺ للشباب الذين لا يقدرون على الزواج:*** **" يا معشر الشباب! مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"**

وقد وُجِدَ بالأبحاث العلمية أن الصيام مع الاعتدال في الطعام والشراب، يكون له تأثير في كبح جماح الغريزة الجنسية.

٣- يعالج الصيام الأمراض الناتجة عن السمنة، كتصلب الشرايين، وضغط الدم، وبعض أمراض القلب.

(الصيام معجزة علمية د. عبد الجواد الصاوي)

٤- يعالج الصيام بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية كمرض الرينود ومرض برجر.

٥- يعالج الصيام المتواصل مرض التهاب المفاصل المزمن (الروماتويد).

٦- يعادل الصيام الإسلامي ارتفاع حموضة المعدة؛ وبالتالي يساعد على التئام قرحة المعدة.

٧- يُمكِّن الصيام آليات الهضم والامتصاص في الجهاز الهضمي وملحقاته من أداء وظائفها على أتم وأكمل وجه.

٨- يتيح الصيام راحة فسيولوجية للجهاز الهضمي وملحقاته، بمنع تناول الطعام والشراب لفترة زمنية تتراوح من ٩-١١ ساعة بعد امتصاص الغذاء، وتستريح آليات الأمعاء في كل هذه الفترة.

٩- يُمكِّن الصيام الغدد الصماء ذات العلاقة بعمليات الاستقلاب في فترة ما بعد الامتصاص من أداء وظائفها.

١٠ - ينشط الصيام آليات الاستقلاب أو التمثيل الغذائي في البناء والهدم للجلوكوز والدهون والبروتينات لتقوم بوظائفها على أكمل وجه.

١١- يجدد الصيام الخلايا أثناء مرحلة البناء.

١٢- يحسن الصيام خصوبة الرجل والمرأة على السواء.

١٣- يقي الصيام الجسم من أخطار السموم المتراكمة في خلاياه وبين أنسجته من جراء تناول الأطعمة وخصوصًا المحفوظة منها.

١٤- **توصل الدكتور أحمد القاضي:** إلى أن درجة تحمل المجهود البدني، وكفاءة الأداء العضلي ازدادت لدى الصائمين بنسبة كبيرة عند ٣٠% من أفراد التجربة، وبنسبة أقل عند ٤٠% منهم، وتحسنت دقات القلب بمقدار ٦% وضغط الدم مضروبًا في سرعة النبض بمقدار ١٢ %، وتحسن الشعور بإرهاق الساقين بمقدار ١١% ودرجة الشعور بضيق التنفس ٩%.

١٥- يسبب الصوم زيادة في الأحماض الدهنية الحرة في الدم، فتصبح المصدر الرئيسي للطاقة بدلًا من الجلوكوز، الأمر الذي يساعد على تقليل نضوج غلوكوجين الكبد والعضلات أثناء الشدة، ويساعد على حماية مستوى الجلوكوز في الدم، وكجزء من عملية الشعور أثناء الصيام، تستخدم المصادر الداخلية بدلًا من الخارجية، حيث تتوفر الأحماض الأمينية في الدم بكميات كافية؛ لإمداد الجسم بالطاقة، علمًا أن مدة الصيام المعتدلة والحالة النفسية للصائم الذي يعي جيدًا أهمية الصيام، ومدى الأجر الكبير فيه لها دور كبير في عدم الشعور بالإنهاك، الذي يشعر به الإنسان الجائع أو العطشان في الظروف العادية خارج رمضان.

وهناك الكثير والكثير من الفوائد الصحية للصيام والتي لم يصل إليها أهل الطب إلى الآن، لكن علينا أن نُسلِّم بكل ما جاء عن رب العالمين، أو عن الرسول الأمين ﷺ، سواء علمنا الحكمة أو لم نعلمها، فلابد أن نوقن أن ما شرعه الله لنا يحمل في طياته الخير، ويضمن لنا السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن الفوائد الصحية للصيام كذلك:

- أن الصوم يسمح للمعدة بالتجدد واستعادة النشاط.
- أن الصوم يعمل على سرعة التئام الجروح وزوال الالتهابات.
- أن كثيرًا من المرضى المصابين بالربو تتحسن حالتهم أثناء الصوم.
- تحسُّن القوى العقلية والفكرية أثناء الصوم والذاكرة تقوى، وهناك تجارب أجريت على طلاب الجامعات أثبتت أن الصوم لفترات قصيرة يزيد في قدرة هؤلاء الطلاب الذكائية والفكرية، ويجعلهم أكبر قدرة على استيعاب دروسهم وحفظها.
- وكذلك تزداد الروحانيات وتسمو أثناء الصوم، وتتحسن العاطفة والمحبة والبديهة تحسنًا ملحوظًا، بجانب صفاء النفس وتنوير القلب.
- ويلاحظ زيادة السموم البولية عند الصائمين، وهذا نتيجة طرح الفضلات أثناء الصوم.
- أن الصوم يشفي بعض حالات العجز الجنسي، كما أنه كفيل باستعادة الخصب الجنسي عند النساء.
- وأن الطاقة الحيوية التي كانت تُصرَف في هضم المواد الغذائية، سوف تصرف . عند الصوم . في طرح وطرد كل المواد المؤذية التي يحتوي عليها الجسم... وغير ذلك من الأمراض التي يفيد الصوم فيها، ويعمل على إزالتها أو تخفيفها. **(التداوي بالصيام هـ. م شلتون بتصرف)**

فالصيام أحبتي في الله... مفيد للبدن، مريح للمعدة، مُذْهب لكثير من الأمراض النفسية والجسمية، يصلح الجهاز الهضمي والكُلى والكبد، وبعض الغدد المنتشرة في الجسم، ويقي الجسم من الأمراض الخطيرة: كارتفاع ضغط الدم، والبول السكري، ويخفف من حدة التهاب المفاصل، ويريح أنسجة الجسم، ويطهر الأمعاء من العفونات والسموم التي تحدثها البطنة، ويزيل الشحومات التي هي خطر على القلب.

يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في "زاد المعاد: ٢/٢٩": لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية؛ لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة، فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه، فالصيام هو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته.

وهو سر بين العبد وربه لا يطَّلع عليه سواه، والعباد قد يطَّلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، **كما قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة:١٨٣)

أحبتي في الله...

لابد أن نُسلِّم بشرع الله سواء علمنا منه الحكمة أم لم نعلم، وعلينا أن نوقن أن شرع الله لنا رحمة، وما أراد الله بنا إلا الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فالحمد لله على نعمة الإسلام وشرائعه.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا الصيام، والقيام، وصالح الأعمال وأن يرزقنا الجنة ونكون في صحبة الحبيب النبي وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك